العائدون إلى الله

مجموعة من قصص التائبين ، من مشاهير وعلماء ودعاة وغيرهم يرونها بأنفسهم

جمعها
محمد بن عبدالعزيز المسند

المجموعة الثانية

(1) توبة المفكر سيد قطب رحمه الله([1])

في قرية صغير في صعيد مصر ولـد سـيد قطـب رحمـه اللـه، ونشأ في أسرة متدينـة متوسـطة الـثراء، وقـد حـرص والـداه على تحفيظه القرآن الكريم في صغره، فمـا أتـمّ العاشـرة إلا وقد حفظه كاملاً ..

ولما بلغ التاسعة عشرة عاش فترة من الضياع، وصفها بنفسه بأنه كانت (فترة إلحاد) حيث قال: (ظللـت ملحـداً أحـد عشـر عاماً حتى عثرت علـى الطريـق إلـى اللـه، وعرفـت طمأنينـة الإيمان.

وفي سنة 1948م غادر سيد القاهرة متوجهاً إلى أمريكـا فـي بعثة لوزارة المعارف آنـذاك، فكـانت تلـك الرحلـة هـي بدايـة الطريق الجديد الذي هداه الله إليـه، ووفقـه لسـلوكه والسـير فيه.

كـان سـفره علـى ظهـر بـاخرة عـبرت بـه البحـر المتوسـط والمحيط الأطلسي... وهناك على ظهر الباخرة، جرت له عدة حوادث أثرت في حياته فيما بعد، وحددت لـه طريقـه، ولـذلك ما إن غادر الباخرة في الميناء الأمريكي الذي وصل إليـه، ومـا إن وطئت قدماه أرض أمريكـا حـتى كـان قـد عـرف طريقـه، وحدد رسالته، ورسم معالم حياته في الدنيا الجديدة.

والآن... لنترك الحديث لسيد ليخبرنا عما حدث له علـى ظهـر السفينة يقول:

(منذ حوالي خمسة عشر عاماً... كنا ستة نفر مـن المنتسـبين إلى الإسلام، على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك، من بين عشرين ومائة راكـب وراكبـة ليس فيهم مسلم.

وخطـر لنـا أن نقيـم صـلاة الجمعـة فـي المحيـط علـى ظهـر السفينة!

---

[1]( ) انظر كتاب (شيد قطب...من القرية إلى المشنقة) لعادل حمودة.

والله يعلم أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السـفينة، وحاول أن يزاول تبشيره معنا!
وقد يسر لنا قائـد السـفينة -وكـان إنجليزيـاً- أن نقيـم صـلاتنا، وسـمح لبحـارة السـفينة وطهاتهـا وخـدمها -وكلهـم نوبيـون مسلمون- أن يصلي منهـم معنـا مـن لا يكـون فـي (الخدمـة) وقت الصلاة.
وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً إذ كانت هذه هـي المـرة الأولـى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة.
وقمـت بخطبـة الجمعـة، وإمامـة الصـلاة، والركـاب الأجـانب معظمهم متحلقون، يرقبون صلاتنا!
وبعـد الصـلاة جاءنـا كـثيرون منهـم يهنئوننـا علـى نجـاح (القداس)!! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا.
ولكن سيدة من هذا الحشد -عرفنا فيمـا بعـد أنهـا يوغسـلافية مسيحية ([2])هاربة من جحيم (تيتو) وشيوعيته- كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع، ولا تتمالـك مشـاعره... جاءت تشد على أيدينا بحرارة وتقول -فـي إنجليزيـة ضـعيفة- إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه، وما فيها من خشوع، ونظام وروح... الخ ([3])
وبعد ذلك كله... وفـي ظلال هـذه الحالـة الإيمانيـة، راح سـيد يخاطب نفسه قائلا:
(أأذهب إلى أمريكا وأسير فيها سير المبتعثين العاديين، الـذين يكتفون بالأكل والنوم، أم لابدّ من التميز بسمات معينة؟!
وهل غيـر الإسـلام والتمسـك بـآدابه، والالـتزام بمنـاهجه فـي الحياة وسط المعمعان المترف المزوّد بكـل وسـائل الشـهوة واللذة الحرام؟...)
قال: ورأيت أن أكون الرجل الثاني، (المسلم الملـتزم)، وأراد الله أن يمتحنني هل أنا صادق فيما اتجهـت إليـه أم هـو مجـرد خاطرة؟!

---

[2]() المسيح عليه السلام، بريء منهم، بعد أن حرفوا دينهم والصحيح أن يقال نصرانية.
[3]( )الظلال 3، 1786.

وكان ابتلاء الله لي بعد دقائق من اختياري طريـق الإسـلام، إذ ما إن دخلتُ غرفتي حتى كان الباب يقرع... وفتحتُ... فإذا أنا بفتاة هيفاء جميلة، فارعة الطول، شبه عارية، يبدو من مفـاتن جسمها كل ما يغري... وبدأتني بالإنجليزية قائلـة: هـل يسـمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عنده هذه الليلة؟

فاعتـذرتُ بـأن الغرفـة معـدة لسـرير واحـد، وكـذا السـرير لشـخص واحـد... فقـالت: وكـثيراً مـا يتسـع السـرير الواحـد لاثنين!!

واضطررت أمام وقاحتهـا ومحاولتهـا الـدخول عنـوة لأن أدفـع الباب فـي وجههـا لتصـبح خـارج الغرفـة، وسـمعت ارتطامهـا بالأرض الخشبية فـي الممـر، فقـد كـانت مخمـورة... فقلـت: الحمـد للـه... هـذا أول ابتلاء... وشـعرتُ بـاعتزاز ونشـوة، إذ انتصرت على نفسي... وبدأت تسير في الطريق الذي رسمته لها([4])...

ولقد واجه سيد رحمه الله ابتلاءات كثيرة بعد ذلك ولكنه تغلّب عليها وانتصر على نفسه الأمارة بالسوء!

ولما وصل إلى أمريكا، يحدثنا عما رأى فيقول: ولقد كنت -في أثناء وجودي في الولايات المتحدة الأمريكيـة- أرى رأي العيـن مصداق قول الله تعالى: (**فلما نسوا ما ذكروا بــه فتحنــا عليهم أبـواب كـل شـيء حـتى إذا فرحـوا بمـا أوتـوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مُبلسـون**). (سـورة الأنعـام الآيـة 44).

فإن المشهد الذي ترسمه الآية مشـهد تـدفق كـل شـيء مـن الخيرات والأرزاق بلا حساب، لا يكـاد يتمثـل فـي الأرض كلهـا كما يتمثل هناك!

وكنت أرى غرور القوم بهذا الرخاء الذي هم فيه... وشـعورهم بأنه وَقف على الرجل الأبيض... وطريقة تعاملهم مع الملونين في عجرفة مرذولة، وفي وحشية كذلك بشعة... وفـي صـلف على أهل الأرض كلهم، كنتُ أرى هذا كله فـأذكر هـذه الآيـة...

---

[4]( ) انظر (أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب)، للدكتور صلاح الخالدي.

وأتوقـع سـنة اللـه... وأكـاد أرى خطواتهـا وهـي تـدبّ إلـى الغافلين([5]).

وبعد سنتين قضاهما سـيد فـي أمريكـا، عـاد رحمـه اللـه إلـى مصر... ولكنه عـاد رجلاً آخـر... رجلاً مؤمنـاً ملتزمـاً صـاحب رسالة ودعوة وغاية.

رحم الله سيداً وأسكنه فسيح جناته وعفا عنا وعنه.

---

[5] ( ) الظلال 2، 1091 باختصار.

(2) توبة الشرطيين شهدا إعدام سيد قطب رحمه الله ([6])

إن في بذل العلماء والدعاة والمصلحين أنفسهم في سبيل الله حياة للناس، إذا علموا صدقهم؛ وإخلاصهم لله عز وجلّ.
ومن هؤلاء الدعاة والمفكرين.. (سيد قطب) رحمه الله، فقد كان لمقتله أثر بالغ في نفوس من عرفوه وعلموا صدقه، ومنهم اثنان من الجنود الذين كُلفّوا بحراسته وحضروا إعدامه.
يروي أحدهما القصة فيقول:
هناك أشياء لم تكن نتصورها هي التي أدخلت التغيير الكلي على حياتنا..
في السجن الحربي كنا نستقبل كل ليلة أفراداً أو مجموعات من الشيوخ والشباب والنساء، ويقال لنا: هؤلاء من الخونة الذين يتعاونون مع اليهود ولابدّ من استخلاص أسرارهم.. ولا سبيل إلى ذلك إلا بأشدّ العذاب. وكان ذلك كافياً لتمزيق لحومهم بأنواع السياط والعصي.. كنا نفعل ذلك ونحن مُوقنون إننا نؤدي واجباً مقدّساً... إلا أننا ما لبثنا أن وجدنا أنفسنا أمام أشياء لم نستطع لها تفسيراً، لقد رأينا هؤلاء (الخونة)، مواظبين على الصلاة أثناء الليل وتكاد ألسنتهم لا تفتر عن ذكر الله حتى عند البلاء.
بل إن بعضهم كان يموت تحت وقع السياط، أو أثناء هجوم الكلاب الضارية عليهم، وهو مبتسمون على الذكر.
ومن هنا... بدأ الشك يتسرب إلى نفوسنا... فلا يعقل أن يكون مثل هؤلاء المؤمنين الذاكرين من الخائنين المتعاملين مع أعداء الله.
واتفقتُ أنا وأخي هذا سراً على أن نتجنب إيذائهم ما وجدنا إلى ذلك سبيلا. وأن نقدم لهم كل ما نستطيع من العون.

---

[6])) مجلة الدعوة السعودية/ العدد 1028/ بقلم: محمد المجذوب، باختصار.

ومن فضل الله علينا أن وجودنا في ذلـك السـجن لـم يسـتمر طويلاً ... وكان آخر ما كُلفنا به من عمل هـو حراسـة الزنزانـة التي أفرد فيها أحدهم وقد وصفوه لنا بأنه أخطرهم جميعـاً، أو أنه رأسهم المفكر وقائدهم المدبر ([7])

وكان قد بلـغ بـه التعـذيب إلـى حـد لـم يعـد قـادراً معـه علـى النهوض، فكانوا يحملونه إلى المحكمة العسـكرية الـتي تنظـر في قضيته.

وذات ليلة جاءت الأوامر بإعداده للمشنقة، وأدخلوا عليه أحــد الشيوخ!!! ليذكره ويعظه!!! وفي ساعة مبكـرة مـن الصـباح التالي، أخذت أنا وأخي بذراعيه نقـوده إلـى السـيارة المغلقـة التي سبقنا إليها بعض المحكومين الآخريـن... وخلال لحظـات انطلقت بنا إلى مكان الإعدام... ومن خلفنـا بعـض السـيارات العسكرية تحمل الجنود المدججين بالسلاح للحفاظ عليهم...

وفي مثل لمح البصر أخذ كل جندي مكانه المرسـوم محتضـناً مسدسـه الرشـاش، وكـان المسـئولون هنـاك قـد هيئـوا كـل شيء... فأقاموا من المشانق مثل عدد المحكومين... وسـيق كل منهم إلـى مشـنقة المحـددة، ثـم لـفّ حبلهـا حـول عنقـه، وانتصب بجانب كل واحدة (العشماوي) الـذي ينتظـر الإشـارة لإزاحة اللوح من تحت قدمي المحكوم.. ووقف تحت كل رايـة سوداء الجندي المكلف برفعها لحظة التنفيذ.

كان أهيب ما هنالك تلك الكلمات التي جعـل يوجههـا كـل مـن هؤلاء المهيئين للموت إلى إخوانه، يبشـره بـالتلاقي فـي جنـة الخلد، مع محمد وأصحابه، ويختم كل عبارة الصيحة المـؤثرة: الله أكبر والله الحمد.

في هذه اللحظات الرهيبة سمعنا هدير سيارة تقترب، ثـم لـم تلبث أن سكت محركها، وفتحـت البوابـة المحروسـة، لينـدفع من خلالها ضابط من ذوي الرتب العالية، وهو يصيح بالجلادين: مكانكم!

---

[7]( ) هو سيد رحمه الله

ثم تقدم نحو صاحبنا الـذي لـم نـزل إلـى جـواره علـى جـانبي المشنقة، وبعد أن أمر الضابط بإزالة الرباط عن عينـه، ورفـع الحبل عن عنقه، جعل يكلمه بصوت مرتعش:

يا أخـي.. سـيد.. إنـي قـادم إليـك بهديـة الحيـاة مـن الرئيـس الحليم الرحيم، كلمة واحدة تدليها بتوقيعك، ثم تطلب ما تشاء لك ولإخوانك هؤلاء.

ولم ينتظر الجواب، وفتح الكراس الذي بيده وهو يقول: اكتب يـا أخـي هـذه العبـارة فقـط: (**لقـد كنـت مخطئـاً وإنـي أعتذر...**).

ورفع سيد عينه الصافيتين، وقد غمرت وجهه ابتسامة لا قـدرة لنا على وصفها.. وقال للضابط في هـدوء عجيـب: أبـداً.. لـن أشتري الحياة الزائلة بكذبة لن تزول!

قال الضابط بلهجة يمازجها الحزن... ولكنه الموت يا سيد.

وأجاب سيد: (**يا مرحباً بالموت في سبيل اللـه..**)، اللـه أكبر!! هكذا تكون العزة الإيمانية، ولم يبـق مجـال للاسـتمرار في الحوار، فأشار الضابط للعشماوي بوجوب التنفيذ.

وسرعان ما تأرجح جسد سيد رحمه الله وإخوانه في الهواء... وعلى لسان كل منهم الكلمة التي لا نستطيع لها نسـياناً، ولـم نشعر قط بمثل وقعها في غير ذلك الموقف، (**لا إله إلا الله، محمد رسول الله...**)

وهكذا كان هذا المشهد سبباً في هدايتنا واستقامتنا، فنسأل الله الثبات.

(3) توبة المغني البريطاني المشهور (كات ستيفنز) ([8])

رفض كل مغريات الـدنيا بكـل شـهرتها وشـهواتها، هـرب مـن هجيـر هـذا العـالم إلـى وهـج الإيمـان، فوجـد فيـه الهنـاء والطمأنينة... إنها قصة الفنان البريطاني الذي ضربت شـهرته الآفاق، (كات ستيفنـز)، الذي أصبح اسـمه فيمـا بعـد (يوسـف إسلام). ها هو يرويها بنفسه في هذه السـطو البليغـة التعـبير، البالغ التأثير فيقول:

(ولدتُ في لندن قلب العالم الغربي...

ولدتُ في عصر التلفزيون وارتياد الفضاء..

ولدتُ في عصر وصلتْ فيـه التكنولوجيـا إلـى القمـة فـي بلـد معروف بحضارته في بريطانيا.. ترعرعتْ فـي هـذا المجتمـع، وتعلمـت فـي مدرسـة (كاثوليكيـة)، حيـث علمتنْـي المفهـوم المسيحي (النصراني)، للحياة والعقيدة، وعرفـت مـا يفـترض أن أعرفـه عـن اللـه، وعـن المسـيح (عليـه السـلام)، والقـدر والخير والشر.

حدثوني كثيراً عن الله، وقليلاً عن المسيح، وأقلّ من ذلك عن الروح القدس.

كانت الحياة حولي ماديّة تنصبُّ من كل أجهـزة الإعلام، حيـث كـانوا يعلموننـا بـأن الغنـى هـو الـثروة الحقيقيـة، والفقـر هـو الضـياع الحقيقـي، وأن الأمريكـي هـو المثـل للغنـى، والعـالم الثالث هو المثل للفقر والمجاعة والجهل والضياع!!

ولذلك لابدّ أن أختار طريـق الغنـى، وأسـلك مسـلكه، لأعيـش حياة سعيدة، وأفـوز بنعيـم الحيـاة، ولهـذا فقـد بنيـت فلسـفة الحيـاة علـى ألا علاقـة لهـا بالـدين، وانتهجـت هـذه الفلسـفة، لأدرك سعادة النفس.

---

[8]( ) المجلة العربية/ العدد 104.

وبدأت أنظر إلى وسائل النجاح، وكانت أسهل طريقة أن أشتري (جيتاراً)، وأؤلف بعض الأغاني، وألحنها، وأنطلق بين الناس، وهذا ما فعلته بالفعل باسم (كات ستيفنز).

وخلال فترة قصيرة حيث كنت في الثامنة عشرة من عمري، كان لي ثمانية شرائط مسجلة، وبدأت أقدم الكثير من العروض، وأجمع الكثير من المال حتى وصلت إلى القمة!!

وعندما كنتُ في القمة، كنت أنظر إلى أسفل، خوفاً من السقوط!! وبدأ القلق ينتابني، وبدأت أشرب زجاجة كاملة في كل يوم، لأستجمع الشجاعة كي أغني، كنت أشعر أن الناس حولي يلبسون أقنعة، ولا أحد يكشف عن وجهه القناع -قناع الحقيقة!!

كان لابدّ من النفاق، حتى تبيع وتكسب -وحتى تعيش!!

وشعرت أن هذا ضلال، وبدأت أكره حياتي واعتزلت الناس وأصابني المرض، فنقلتُ إلى المستشفى مريضاً بالسل، وكانت فترة المستشفى خيراً لي حيث إنها قادتني إلى التفكير.

كان عندي إيمان بالله، ولكن الكنيسة لم تعرّفني ما هو الإله، وعجزت عن إيصال حقيقة هذا الإله الذي تتحدث عنه!!

كانت الفكرة غامضة وبدأت أفكر في طريقي إلى حياة جديدة، وكان معي كتب عن العقيدة والشرق، وكنت أبحث عن السلام والحقيقة، وانتابني شعور أن أتجه إلى غاية مّا، ولكن لا أدرك كنهها ولا مفهومها.. ولم أقتنع أن أظل جالساً خالي الذهن، بل بدأت أفكر وأبحث عن السعادة التي لم أجدها في الغنى، ولا في الشهرة، ولا في القمة، ولا في الكنيسة، فطرقت باب (البوذية والفلسفة الصينية)، فدرستها، وظننت أن السعادة هي أن تتنبأ بما يحدث في الغد حتى تتجنب شروره، فصرت قدريّاً، وآمنت بالنجوم، والتنبؤ بالطالع، ولكنني وجدت ذلك كله هُراء.

ثم انتقلت إلى الشيوعية، ظنّاً مني أن الخير هو أن نقسم ثروات هذا العالم على كل الناس، ولكنني شعرت أن

الشيوعية لا تتفق مع الفطرة، فالعـدل أن تحصـل علـى عائـد مجهودك، ولا يعود إلى جيب شخص آخر.
ثم اتجهت إلى تعاطي العقاقير المهدئة، لأقطع هذه السلسـلة القاسية من التفكير والحيرة.
وبعد فترة أدركت أنـه ليسـت هنـاك عقيـدة تعطينـي الإجابـة، وتوضح لي الحقيقة التي أبحث عنهـا، ويئسـت حيـث لـم أكـن آنذاك أعرف شيئاً عن الإسلام، فبقيت على معتقدي، وفهمـي الأول، الــذي تعلمتــه مــن الكنيســة حيــث أيقنــت أن هــذه المعتقدات هراء، وأن الكنيسة قليلاً منها.
عدت إليها ثانيةً وعكفـت مـن جديـد علـى تـأليف الموسـيقي، وشعرت أنها هي ديني، ولا دين لي سواها!!
وحـاولت الإخلاص لهـذا الـدين، حيـث حـاولت إيجـاد التـأليف الموسيقي، وانطلاقاً من الفكر الغربـي المسـتمد مـن تعـاليم الكنيسة الذي يوحي للإنسـان أنـه قـد يكـون كـاملاً كـالإله إذا أتقن عمله أو أخلص له وأحبه!!
وفي عام 1975م حدثت المعجزة، بعـد أن قـدّم لـي شـقيقي الأكـبر نسـخة مـن القـرآن الكريـم هديـة، وبقيـت معـي هـذه النسخة حتى زرت القدس في فلسـطين، ومـن تلـك الزيـارة بدأت أهتم بذلك الكتاب الذي أهدانيه أخي، والذي لا أعرف ما بداخله وماذا يتحدث عنه، ثم بحثت عن ترجمة للقرآن الكريـم بعد زيارتي للقدس، وكان المرة الأولـى الـتي أفكـر فيهـا عـن الإسـلام، فالإسـلام فـي نظـر الغـرب يُعتـبر عنصـريا عرقيـاً والمسلمون أغراب أجانب سواء كانوا عرباً أو أتراكاً، ووالــديّ كانا من أصل يوناني، واليوناني يكره الـتركي المسـلم، لـذلك كان المفروض أن أكره القرآن الـذي يـدين بـه الأتـراك بـدافع الوراثة، ولكني رأيت أن أطلع عليه -أي على ترجمته- فلا مانع من أن أرى ما فيه.
ومن أول وهلة شعرت أن القرآن يبـدأ بــ (بسـم اللـه) وليـس باسم غير اللـه، وعبـارة (بسـم اللـه الرحمـن الرحيـم) كـانت مؤثرة في نفسي، ثم تستمر فاتحة الكتـاب: (الحمـد للـه رب العالمين،) كل الحمد لله خالق العالمين، ورب المخلوقات.

وحتى ذلك الوقت كانت فكرتي ضئيلة عـن الإلـه، حيـث كـانوا يقولون لـي: إن اللـه الواحـد، مقسـم إلـى ثلاثـة، كيـف؟!! لا أدري.

وكانوا يقولون لي إن إلهنا ليس إله اليهود...!!

أما القرآن الكريم، فقد بـدأ بعبـادة اللـه الواحـد رب العـالمين جميعاً، مؤكداً وحدانية الخالق، فليس له شـريك يقتسـم معـه القوة، وهذا أيضاً مفهوم جديد، ثـم كنـت أفهـم قبـل معرفـتي بالقرآن الكريـم، أن هنـاك مفهـوم الملائمـة والقـوى القـادرة على المعجزات، أمـا الآن فبمفهـوم الإسـلام، اللـه وحـده هـو القادر على كل شيء.

واقترن ذلك بالإيمان باليوم الآخـر وأن الحيـاة الآخـرة خالـدة، فالإنسان ليس كتلة من اللحم تتحول يوماً مـا إلـى رمـاد كمـا يقول علماء الحياة.. بل ما تفعله في هذه الحياة يحـدد الحالـة التي ستكون عليها في الحياة الآخرة.

القرآن هو الذي دعاني للإسلام، فأجبت دعـوته، أمـا الكنسـية التي حطمتني وجلبتْ لي التعاسة والعناء فهي التي أرسـلتْني لهذا القرآن، عندما عجزت عن الإجابة على تسـاؤلات النفـس والروح.

ولقد لاحظت في القرآن، شيئاً غريبـاً، هـو أنـه لا يشـبه بـاقي الكتـب، ولا يتكـوّن مـن مقـاطع وأوصـاف تتـوافر ف ي الكتـب الدينية التي قرأتها، ولم يكن على غلاف القـرآن الكريـم اسـم مؤلف، ولهذا أيقنت بمفهوم الوحي الذي أوحـى اللـه بـه إلـى هذا النبي المرسل.

لقد تبين لي الفارق بينه وبين الإنجيـل الـذي كتـب علـى أيـدي مؤلفين مختلفين من قصص متعددة.

حاولت أن أبحث عن أخطاء فـي القـرآن الكريـم، ولكنـي لـم أجد، كان كله منسجماً مع فكرة الوحدانية الخالصة ([9]).

وبدأت أعرف ما هو الإسلام.

لم يكن القرآن رسالة واحدة، بل وجدت فيه كل أسماء الأنبياء الذين شرفهم وكرمهم الله ولم يفرق بيـن أحـد منهـم، وكـان

---

[9] ( )الأخ يوسف قرأ ترجمة معاني القرآن، ولم يقرأ القرآن بلغته التي نزل بها، فكيف لو قرأ لغته التي نزل بها من عند الله؟

هذا المفهوم منطقياً، فلو أنك آمنت بنبي دون آخر فإنك تكون قد دمرت وحدة الرسالات.
ومن ذلك الحين فهمتُ كيف تسلسلت الرسالات منذ بدء الخليفة، وأن الناس على مدى التاريخ كانوا صنفين: إما مؤمن، وإما كافر.
لقد أجاب القرآن على كل تساؤلاتي، وبذلك شعرت بالسعادة، سعادة العثور على الحقيقة.
وبعد قراءة القرآن الكريم كله، خلال عام كامل، بدأت أطبق الأفكار التي قرأتها فيه، فشعرت في ذلك الوقت أنني المسلم الوحيد في العالم.
ثم فكرتُّ كيف أكون مسلماً حقيقياً؟ فاتجهت إلى مسجد لندن، وأشهرت إسلامي، وقلت (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله).
حين ذلك أيقنت أن الإسلام الذي اعتنقته رسالة ثقيلة، وليس عملاً سهلاً ينتهي بالنطق بالشهادتين.
لقد ولدتُّ من جديد! وعرفتُ إلى أين أسير مع إخواني من عباد الله المسلمين، ولم أقابل أحداً منهم من قبل، ولو قابلت مسلماً يُحاول أن يدعوني للإسلام لرفضت دعوته بسبب أحوال المسلمين المزرية، وما تشوهه أجهزة إعلامنا في الغرب، بل حتى أجهزة الإعلام الإسلامية كثيراً ما تشوه الحقائق الإسلامية، وكثيراً ما تقف وتؤيد افتراءات أعداء الإسلام، العاجزين عن إصلاح شعوبهم التي تدمرها الآن الأمراض الأخلاقية، والاجتماعية وغيرها!!
لقد اتجهتُ للإسلام من أفضل مصادره، وهو القرآن الكريم، ثم بدأت أدرس سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكيف أنه بسلوكه وسننه، علّم المسلمين الإسلام، فأدركت الثروة الهائلة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وسننه، لقد نسيت الموسيقى، وسألت إخواني: هل أستمر؟ فنصحوني بالتوقف، فالموسيقى تشغل عن ذكر الله، وهذا خطر عظيم.

لقد رأيت شـاباً يهجـرون أهلهـم، ويعيشـون فـي جـو الأغـاني والموسيقى، وهـذا لا يرضـاه الإسـلام، الـذي يحـث علـى بنـاء الرجال.
أما الملاييـن الـتي كسـبتها مـن عملـي السـابق (وهـو الغنـاء) فوهبتهـا كلهـا للـدعوة الإسـلامية). هـذه هـي قصـة المغنـي البريطاني المشهور، كات ستيفنز (يوسف إسلام) الذي رفض الشهرة والملايين، بعد أن هداه الله إلى طريق الحـق، نهـديها إلى جميع الفنانين والمغنين في عالمنا العربي والإسلامي، بل فـي العـالم أجمـع، لعلهـا تكـون عـبرة للمعتـبرين، وذكـرى للذاكرين.

(4) توبة الممثلة هناء ثروت)[10])

هناء ثروت ممثلة مشهورة، عاشت في (العفـن الفنـي) فـترة من الزمان، ولكنها عرفت الطريق بعد ذلك فلزمته، فأصبحت تبكي على ماضيها المؤلم.

تروي قصتها فتقول:

أنهيت أعمالي المنزلية عصـر ذلـك اليـوم، وبعـد أن اطمـأننت على أولادي، وقد بدءوا فـي اسـتذكار دروسـهم، جلسـت فـي الصالة، وهممـت بمتابعـة مجلـة إسـلامية حبيبـة إلـى نفسـي، ولكن شيئاً ما شد انتباهي، أرهفت سمعي لصوتٍ ينبعـث مـن إحدى الغرف. وبالذات من حجرة ابنتي الكبرى، الصوت يعلـو تارة ويغيب بعيداً تارةً أخرى.

نهضت بتعجل لأستبين الأمـر، ثـم عـدت إلـى مكـاني باسـمة عنـدما رأيـت صغيرتي ممسكة بيدها مجلداً أنيقاً تدور بـه الغرفـة فرحـة، وهـي تلحّـن مـا تقرأ، لقد أهدتْها إدارة المدرسة ديوان (أحمد شوقي)، لتفوقها في دراستها، وفي لهجة طفولية مرحة كانت تردد:

خدعوها بقولهم حسناء ... والغواني يغرهن الثناء

لا أدري لماذا أخذت ابنتي في تكرار هذا البيت، لعلـه أعجبهـا.. وأخـذتُ أردده معهـا، وقـد انفجـرتْ مـدامعي تـأثراً وانفعـالاً. أنـاملي الراعشـة تضـغط بالمنـديل الـورقي علـى الكـرات الدمعيـة المتهطلـة كـي لا تفسـد صـفحات اعتـدت تـدوين خواطري وذكرياتي في ثناياها، وصوت ابنتي لا يزال يردد بيت شوقي:

(خدعوها)؟!

نعم، لقد مُورستْ عليّ عمليات خداع، نصبتها أكثر من جهة.

تعود جذور المأسـاة إلـى سـنوات كنـتُ فيهـا الطفلـة البريئـة لأبـوين مسـلمين، كـان مـن المفـروض عليهمـا استشـعار المسئولية تجـاه وديعـة اللـه لـديهما -الـتي هـي أنـا- بتعهـدي

---

[10]( ) مجلة الأمة/ العدد 62/ بعنوان: مهاجرة إلى الله. وقد نشرت هذه القصة أيضاً باختصار في مجلة لبنانية، وقد قامت هذه المجلة بنشر صور هذه الممثلة قبل الحجاب وبعده!!!

بالتربية وحسن التوجيه وسلامة التنشئة، لأغـدو بحـق مسـلمة كما المطلوب، ولكن أسأل الله أن يعفو عنهما.
كانا منصرفين، كل واحد منهما لعمله، فـأبي -بطبيعـة الحـال- دائماً خارج البيت في كدح متواصل تاركاً عبء الأسـرة لأمـي التي كانت بدورها موزعة الاهتمامات ما بين عملهـا الـوظيفي خارج المنزل وداخله، إلـى جـانب تلبيـة احتياجاتهـا الشخصـية والخاصة، وبالطبع لـم أجـد الرعايـة والاعتنـاء اللازميـن حـتى تلقفتني دور الحضانة، ولمّا أبلغ الثالثة من عمري.
كنت أعيش في قلق وتوتر وخـوف مـن كـل شـيء، فـانعكس ذلك على تصرفاتي الفوضوية الثـائرة فـي المرحلـة الابتدائيـة في محاولة لجذب الانتباه إلى شخصـي المهمـل (أسـريّاً) بيـد أن شيئاً ما أخذ يلفت الأنظار إلي بشكل متزايد.
أجل، فقد حباني الله جمالاً، ورشاقة، وحنجرة غريـدة، جعلـت معلمـة الموسـيقى تلازمنـي بصـفة شـبه دائمـة، تسـتعيدني الأدوار الغنائية -الراقصة منها والاستعراضـية- الـتي أشـاهدها في التلفاز، حـتى عـدوت أفضـل مـن تقـوم بهـا فـي الحفلات المدرسية، ولا أزال أحتفظ في ذاكرتـي بأحـداث يـوم كُرّمـتُ فيـه لتفـوقي فـي الغنـاء والرقـص والتمثيـل علـى مسـتوى المدارس الابتدائية في بلدي، احتضنتني (الأم ليليـان)، مـديرة مدرستي ذات الهوية الأجنبية، وغمرتني بقبلاتها قائلـة لزميلـة لها فقد نجحنـا فـي مهمتنـا، إنهـا -وأشـارت إلـيّ- مـن نتاجنـا، وسنعرف كيف نحافظ عليها لتكمل رسالتنا!! ([11])
لقد صور لي خيالي الساذج آنذاك أني سـأبقى دائمـاً مـع تلـك المعلمة وهـذه المـديرة، وأسـعدني أن أجـد بعضـاً مـن حنـان افتقدته، وإن كنت قد لاحظـتُ أن عطفهمـا مـن نـوع غريـب، تكشفت لي أبعاده ومراميه بعدئـذ، وأفقـت علـى حقيقـة هـذا الاهتمام المستورد!!
صـراحة، لا أسـتطيع نكـران مـدى غبطـتي فـي تلـك السـنين الفائتة، وأنا أدرج من مرحلة لأخرى، خاصة بعد أن تبناني أحـد

[11]( ) صدق الله إذ يقول: (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين). آل عمران، الآية 100).

مخرجي الأفلام السـينمائية كفنانـة (!!) دائمـاً وسـط اهتمـام إعلامي كبير بي!
كما أخـذت تفخـر أمـي بابنتهـا الموهوبـة (!!) أمـام معارفهـا، وصويحباتها، وتكـاد تتقـافز سـروراً وهـي تملـي صـوري علـى شاشة التلفاز، جليسها الدائم.
كانت تمتلكني نشوة مكسرة، وأنا أرفل فـي الأزيـاء الفـاخرة والمجـوهرات النفيسـة والسـيارات الفارهـة، كـانت تطربنـي المقابلات، والتعليقات الصحفية، ورؤية صوري الملونـة، وهـي تحتل أغلفة المجلات، وواجهات المحلات، حتى وصل بي الأمر إلى أن تعاقد معـي متعهـدو الإعلانـات والـدعايات، لاسـتخدام اسمي -اسمي فقط- لترويج مستحضراتهم وبضائعهم!
كانت حياتي بعمومهـا موضـع الإعجـاب والتقليـد فـي أوسـاط المراهقات، وغير المراهقـات علـى السـواء، وبالمقابـل كـان تألقي هذا موطن الحسد والغيرة التي شب أوارها في نفـوس زميلات المهنة -إن صح التعبير- وبصورة أكثر عنـد مـن وصـل بهن قطار العمر إلى محطات الترهل، والانطفاء، وقد أخفقت عمليات التجميل فـي إعـادة نضـارة شـبابهن، فانصـرفن إلـى تعاطي المخدرات، ولم يتبق من دنياهن سـوى التشـبث بهـذه الأجواء العطنة، وقد لُفظْن كبقايا هياكل ميتة في طريقها إلـى الزوال.
قد تتساءل صغيرتي: وهل كنت سعيدة حقاً يا أمي؟!!
ابنتي الحبيبة لا تدري بأني كنت قطعة من الشقاء والألم، فقـد عرفتُ وعشت كل ما يحمل قـاموس الـبئوس والمعانـاة مـن معانٍ وأحداث([12])!
إنسانة واحدة عاشت أحزاني، وترفقت بعذاباتي رحلة الشقاء (المبهرجـة)، وعلـى الرغـم مـن أنهـا شـقيقة والـدتي إلا أنهـا تختلف عنها في كل شيء، ويكفيها أنها امرأة فاضـلة، وزوجـة مؤمنة، وأم صالحة.
كنتُ ألجأ إليها بين الحين والآخر، أتـزود مـن نصـائحها وأخضـع لتحذيراتها، وأرتضي وسائلها لتقويم اعوجـاجي، وهـي تحـاول

[12]( ) هذا هو حال أولك الفنانين والفنانات!! شقاء وتعاسة وبؤس ومعاناة، وإن بلغوا ما بلغوا من الشهرة والغنى.

فتح مغاليق قلبي ومسارب روحي بكلماتها القوية ومشـاعرها الحانية، ولكن -والحق يُقال- كان شيطاني يتغلب على الجانب الطيـب الضـئيل فـي نفسـي لقلـة إيمـاني، وضـعف إرادتـي، وتعلقـي بالمظـاهر، وعلـى الرغـم مـن هـذا العـالم لـم يكـن بالمستطاع إسكات الصوت الفطـري الصـاهل، المنبعـث فـي صحراء قلبي المقرور.
بات مألوفاً رؤيتي ساهمة واجمة، وقد أصبحتُ دمية يلهـو بهـا أصحاب المدارس الفكرية -على اختلال انتماءاتهـا العقائديـة- لترويج أغراضهم ومراميهم عن طريق أمثالي من المخدوعين والمخدوعات، واستبدالنا بمن هـم أكـثر إخلاصـاً، أو إذا شـئت (عمالة)، في هذا الوسط الخطر، والمسـئول عـن الكـثير مـن توجهات الناس الفكرية.
وجدت نفسي شيئاً فشيئاً أسقط في عزلة نفسية قائظة، زاد عليها نفوري من أجواء الوسط الفني -كما يُدعى- !! معرضـة عن جلساته وسهراته الصاخبة الـتي يُرتكـب فيهـا الكـثير مـن التفاهات والحماقات باسم الفن أو الزمالة!!
لم يحدث أن أبطلت التعامل مـع عقلـي فـي سـاعات خلـوتي نفسـي، وأنـا أحـاول تحديـد الجهـة المسـئولة عـن ضـياعي وشقائي، أهي التربية الأسرية الخاطئة؟ أم التوجيه المدرسي المنحرف؟ أم هي جناية وسائل الإعلام؟ أم كل ذلك معاً؟!!
لقد توصلت -أيامها- إلى تصميم وعزم يقتضـي تجنيـب أولادي -مستقبلاً- ما ألقاه من تعاسة مهما كان الثمن غاليـاً إذ يكفـي المجتمـع أنـي قُـدمت ضـحية علـى مذبـح الإهمـال والتـآمر والشهوات، أو كما تقول خالتي: على دين الشيطان.
وفجأة، التقينا على غير ميعاد.
كان مثلي، دفعته نزوات الشباب -كما علمت بعدئذ- إلـى هـذا الوسط ليصبح نجماً! -وعذراً فهـذه اصـطلاحاتنا آنـذاك- ومـع ذلك كان يفضل تأدية الأدوار الجادة -ولو كـانت ثانويـة- نـافراً من التعامل مع الأدوار النسائية.
ومرة احتفلت الأوساط الفنية والإعلامية بزيارة أحـد مشـاهير (هوليوود) لها، واضطررت يومها لتقديم الكثير من المجاملات

التي تحتمها مناسبة كهذه!!، وانتهزت فرصة تبادل الأدوار وتسللت إلى مكان هادئ لالتقاط أنفاسي، لمحته جالساً في مكان قريب مني، شجعني صمته الشارد أن أقتحم عليه عزلته.
سألته -بدون مقدمات- عن رأيه في المرأة لأعرف كيف أبدأ حديثي معه.
أجابني باقتضاب أن الرجل رجل، والمرأة امرأة، ولكل مكانه الخاص، وفق طبيعته التي خلق عليها.
استرسلت في التحادث معه، وقد أدهشني وجود إنسان عاقل في هذا الوسط!...ٍفهمت من كلامه أنه سيضحي -غير آسف- بالثراء والشهرة المتحصلين له من التمثيل، وسيبحث عن عمل شريف نافع، يستعيد فيه رجولته وكرامته.
لحظتها قفز إلى خاطري سؤال عرفت الحياء الحقيقي وأنا أطرحه عليه.
لم يشأ أن يحرجني يومها، ولكن مما وعيت من حديثه قوله:] إذا تزوجت فتكون زوجتي أمّاً وزوجاً بكل معنى الكلمة، فاهمة مسئولياتها وواجباتها، وستكون لنا رسالة نؤديها نحو أولادنا لينشئوا على الفضيلة والاستقامة، كما أمر الله، بعيداً عن المزالق والمنعطفات، وقد عرفت مرارة السقوط وخبرت تعاريج الطريق[.
وقال كلاماً أكثر من ذلك: أيقظ فيّ الصوت الفطري الرائق، يدعوني إلى معراج طاهر من قحط القاع الزائف إلى نور الحق الخصيب وأحسستُ أني أمام رجل يصلح لأن يكون أباً لأولادي، على خلاف الكثير ممن التقيتُ، ورفضت الاقتران بهم.
وبعد فترة، شاء الله وتزوجنا.
وكالعادة كان زواجنا قصة الموسم في أجهزة الإعلام المتعددة، حيث تعيش دائماً على مثل هذه الأخبار.
ولكن المفاجأة التي أذهلت الجميع كانت بإعلاننا -بعد زيارتنا للأراضي المقدسة-عن تطليق حياة الفراغ والضياع والسوء، وأني سألتزم بالحجاب، وسائر السلوكيات الإسلامية

المطلوبة إلى جانب تكريس اهتمامي لمملكتي الطاهرة -بيتي المؤمن- لرعاية زوجي وأولادي طبقاً لتعاليم الله ورسوله.

أما زوجي فقد أكرمه الله بحسن التفقه في دينه، وتعليم الناس في المسجد.

أولادي الأحباء لم يعرفوا بعد أن أباهم في عمامته، وأمهم في جلبابها، كانا ضالين فهداهما الله، وأذاقهما حلاوة التوبة والإيمان.

خالتي المؤمنة ذرفت دموعها فرحة، وهي ترى ثمرة اهتمامها بي في الأيام الخوالي، ولا تزال الآن تحتضنني كما لو كنت صغيرة، وتسأل الله لي الصبر والثبات أمام حملات التشهير والنكاية التي استهدفت إغاظتي بعرض أفلامي السافرة التي اقترفتها أيام جاهليتي، على أن أعاود الارتكاس في ذاك الحمأ اللاهب وقد نجاني الله منه.

ومن المضحك أن أحد المنتجين، عرض على زوجي أن أقوم بتمثيل أفلام، وغناء أشعار، يلصقون بها مسمى (دينية) !!! ([13]) ولا يعلم هؤلاء المساكين أن إسلامي يربأ بي عن مزاولة ما يخدش كرامتي أو ينافي عقيدتي.

نعم، لقد كانت هجرتي لله، وإلى الله، وعندما تكبر براعمي المؤمنة، سيدركون إن شاء الله لِمَ وكيف كنت؟! وتندفع صغيرتي إلى حجري بعد الاستئذان، وأراها تضع بين يديّ الديوان، تسألني بلهجة الواثق من نفسه أن أتابع ما حفظت من قصيد، وقيل أن أثبت بصري على الصفحة المطلوبة، اندفعتْ في تسميعها:

خدعوها بقولهم حسناء	والغواني يغرهن الثناء

---

[13]() من أساليب الشيطان وأعوانه في الإغواء التدرج، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) فالواجب الحذر من ذلك.

(5) توبة الراقصة هالة الصافي ([14])

روت الفنانة الراقصة، المعروفة، هالة الصافي، قصة اعتزالها الفن وتوبتها، والراحة النفسية التي وجدتها عندما عـادت إلـى بيتها وحياتها، وقالت: بأسلوب مؤثر عبر لقاء صحفي معها:

(في أحـد الأيـام كنـت أؤدي رقصـة فـي أحـد فنـادق القـاهرة المشهورة، شعرت وأنا أرقص بـأنني عبـارة عـن جثـة،، دميـة تتحرك بلا معنى، ولأول مرة أشعر بالخجـل وأنـا شـبه عاريـة، أرقص أمام الرجال ووسط الكؤوس.

تركت المكان، وأسرعت وأنا أبكي في هستيريا حـتى وصـلت إلى حجرتي وارتديت ملابسي.

انتابني شعور لم أحسه طيلة حياتي مع الرقص الذي بدأته منذ كـان عمـري 15 سـنة، فأسـرعت لأتوضـأ وصـليت، وسـاعتها شـعرت لأول مـرة بالسـعادة والأمـان، ومـن يومهـا ارتـديت الحجاب على الرغم من كثرة العروض، وسخرية البعض.

أديت فريضة الحج، ووقفـت أبكـي لعـل اللـه يغفـر لـي الأيـام السوداء..).

وتختتم قصتها المؤثرة قائلة: (هالة الصافي ماتت ودفن معهـا ماضيها، أما أنـا فاسـمي سـهير عابـدين، أم كريـم، ربـة بيـت، أعيش مع ابني وزوجي، ترافقني دموع الندم على أيام قضيتها من عمري بعيداً عن خالقي الذي أعطاني كل شيء.

إنني الآن مولودة جديدة، أشعر بالراحلة والأمان بعـد أن كـان القلق والحزن صديقي، بالرغم من الثراء والسهر واللهو).

وتضيف: (قضيت كل السـنين الماضـية صـديقة للشـيطان، لا أعرف سوى اللهو الرقص، كنت أعيـش حيـاة كريهـة حقيـرة، كنت دائماً عصبية، والآن أشـعر أنـني مولـودة جديـدة، أشـعر أنـني فـي يـد أمينـة تحنـو علـي وتبـاركني، يـد اللـه سـبحانه وتعالى).

---

[14] ( ) المجلة العربية: العدد 140.

(6) توبة شاب أسرف على نفسه بالمعاصي[15]

ضيفنا هذه المرة شاب لـه قصـة طويلـة، لـم يـدع معصـية إلا فعلها، ولا كبيرة إلا ارتكبها، كل ذلك بحثاً عن السـعادة، ولكنـه لم يجد إلا الشقاء والتعاسة.

أغلقت في وجهه جميع الأبواب إلا باب واحد، باب الله الـذي لا يُغلق. فلجأ إلى الله وعاد إليه، وهنا وجـد السـعادة الـتي كـان يبحث عنها، التقيت به فحدثني بقصته فقال:

نشأت في بيت (عادي) مـن بيـوت المسـلمين، وكنـت أصـلي الصلاة المعتـادة، أرى النـاس يـذهبون إلـى المسـجد فـأذهب معهم، ولم أكن -لصغر سني- أدرك قيمة الصلاة وأهميتها.

ولما كبرت قليلاً اشترى لي والدي سـيارة -وكنـت آنـذاك فـي بداية المرحلة الثانوية- فكانت بداية الانطلاق.

وجاء دور رفقاء السوء، ليقضوا على مـا تبقـى لـديّ مـن خيـر وفضيلة وصلاح!! فقـد تعرفـتُ علـى مجموعـة منهـم، وكنـتُ الوحيد من بينهم الذي يملك سـيارة، فتـوليتُ القيـادة، وكنـت أغدو بهم وأروح، فصار كل واحد منا يظهـر مـا يـوحي بـه إليـه شـيطانه مـن الأفكـار والابتكـارات، فـي فـن الاختطـاف والمخدرات، وغيرها من الفنون... فبدأت شـيئاً فشـيئاً أتعلـم هذه الأمور.

انتقلنا من الحي الذي كنا فيه، إلـى حـي آخـر، وهنـاك وجـدتُّ مجموعةً أخرى من الشباب فتسلمت القيادة أيضاً، فما تركتُ معصـية إلا ارتكبتهـا ابتـداءً مـن المعاصـي الصـغيرة وانتهـاءً بالمخدرات والمسكرات حتى وصل بنا الحال بحثاً عن شـرب الخمور في نهار رمضان، كنا نفعل ذلك كله بحثاً عن السـعادة الموهومة.

كنتُ من أشد الناس عداوةً وبغضاً للملتزمين الطيـبين، وكـان في الحارة رجـل يقـال لـه: (عبـد الواحـد) كنـتُ أشـد النـاس

---

[15] ( ) هذه القصة رواها لي هذا الشاب بنفسه.

عداوةً له، لأنـه كـان مـن المجتهـدين فـي نصـح الشـباب فـي (الحارة)، فكان هدفنا هو إيذاء هذا الرجل، وقـد حاولنـا كـثيراً ولكن لم نجد إلى ذلك سبيلاً.
مرّتْ أعوام طويلـة، وأنـا علـى هـذه الحـال، بيـن المخـدرات والمشـكلات الأخلاقيـة، وغيرهـا حـتى أنـي تركـتُ الدراسـة واتجهتُ إلى العمـل، فـإذا جـاء آخـر الشـهر وتسـلمتُ راتـبي صرفته كله في المخدرات.
وبعد فترة، منّ الله على أخي الأصغر بالهداية، فكان قدوة لنـا في البيت في حسن التعامل، كنا نضـايقه ونهـدده!! ونحـذره! من مصاحبة عبد الواحد وغيره من الشـباب الطيـبين، بـل كنـا نمنعه من تطبيق بعض شعائر الإسلام الظاهرة كإعفاء اللحية، وتقصير الثياب، فكان يُقابل إساءتنا هذه بالإحسان، ويردّ علينا بكلمات طيبة مثل (إن شاء الله) و(جزاكم الله خيراً) ونحوها، فبدأتُ أشعر بارتياح نحوه لحسن معاملته، وكـانت هـذه بدايـة التحول.
ثم جاء بعد ذلك دور الشيخ عبد الواحـد، فقـد كـان يجتهـد فـي نصحنا، ويكثر من ذلـك، فكنـا نـثير عليـه المشـكلات، ونحـاول تشويه سمعته، واتهامه بما هو منه براء كذباً وبهتاناً.
وفي يوم من الأيام أشار علي بعض الـزملاء -وكـان ذلـك فـي بداية التزامه- أن نذهب إلى مكة لأداء العمـرة، وبعـد رجوعنـا من العمرة كنتُ أنـا وأصـحابي مجتمعيـن فـي أحـد الشـوارع، فمرّ بنا الشـيخ عبـد الواحـد بسـيارته، فأخـذنا نسـبّه ونشـتمه ونطلق عليه الألفاظ البذيئة فوقـف، ثـم عـاد إلينـا فقلنـا هـذه فرصـة فلابـدّ مـن ضـربه والقضـاء عليـه، فنـزل الشـيخ مـن سيارته، وبادر قائلاً: السلام عليكـم، ثـم أقبـل علـيّ وعـانقني وضمني إلى صدره وقال: (الحمد لله على السلامة وتقبل الله منا ومنـك، مـا شـاء اللـه، أخـذت عمـرة؟..).. فخجلـتُ خجلاً شديداً، وتغيرتْ ملامح وجهي، ثم سـلّم علـى بقيـة الأصـحاب، وسألهم عن أحوالهم، وكأنه لم يسمع كلمةً واحدةً ممـا قلنـاه، ومضى في طريقه، فأخذنا نتلاوم، وكل واحد منا يقول للأخـر:

أنت السبب، ومن تلك اللحظة بدأنا نهتم بهذا الرجل ونقـدره، ونحترمه، وتغيرت نظرتنا له.
وبعد فترة، رغبتُ في الالتحـاق بالعسـكرية، فاضـطررتُ إلـى إجراء عملية جراحية، لعلة بي.
ودخلتُ المستشفى، فكان رفقاء السوء يزورونـي فيـؤذونني بشرب الدخان والكلام البذيء.
وفـي المقابـل كـان الشيخ عبـد الواحـد يزورنـي، هـو وبعـض أصحابه، فكـانوا يُقبّلـون رأسـي، ويُسـمعونني كلمـات ملؤهـا التفاؤل والأمل، فأصبحتُ أشـعر بارتيـاح لزيـارتهم وجلوسـهم معي.
وفي إحدى الزيارات، سألني أحدهم عن نومي، فأخبرتهم أني لا أنام إلا بمخـدر طـبي، وأن عنـدي بعـض المجلات والصـحف والقصص أقرأ فيها فلا يأتيني النوم، فقـال لـي أحـدهم: ليـس لك علاج إلا القرآن، فطلبـتُ منهـم مصـحفاً فـأعطوني، وفـي تلك الليلة قرأت سورة البقرة كاملـةً، فنمـت مباشـرةً، وفـي الليلـة الثانيـة، قـرأت سـورة آل عمـران، فنمـتُ كـذلك، ثـم سألوني بعد ذلك عن حـالي ونـومي فـأخبرتهم بـأني أصـبحتُ أنام بارتياح.
خرجتُ من المستشفى، ومع أنـي كنـت أشـعر بارتيـاح شـديد لهؤلاء الشباب الطيبين الملتزمين، إلا أنـي مـازلتُ مـع أولئـك الأشرار الخبثاء.
وفي يوم من الأيام، كنتُ على موعد مـع فعـل معصـية، وكـان ذلك الموعد في مكان بعيد، في منطقة أخرى، ولـم أكـن بعـد قد استعدت كامل صحتي بعد تلك العمليـة، ولكنـي خـاطرت، فركبت سيارتي وانطلقتُ متوجهـاً إلـى تلـك المنطقـة، وفـي الطريـق انفجـرتُ إحـدى العجلات بقـوة، فاضـطررتُ إلـى الخروج عن الطريق، والدخول في منطقة رملية.
كنتُ في تلك اللحظات أشعر بألم شديد من آثار تلـك العمليـة الجراحية التي لا تزال آثارها باقية، حـتى أن ي أكـاد أعجـز عـن حمل نفسي، وبصعوبة نزلتُ من السيارة وحاولت أن أرفعهـا، ولكني كلما رفعتها سقطت، حاولت مـراراً ولكـن دون جـدي،

فلما يئست، وقفت على جانب الطريق وحاولت أن أستعين بعض المارة، ولكنهم لم يقفوا لمساعدتي.
اقتربتِ الشمس من الغروب، وأحسستُ بأني وحيد في هذا المكان الموحش، فضاقتْ بي الدنيا، ولم أدر ما أفعل، وهنا لم أجد من ألتجئ إليه إلا الله الواحد الأحد، ومن غير شعور، جثوت على ركبتي، ومددت كفي إلى الله -عز وجل- فدعوته في تلك اللحظات أن يُفرج همي ويكشف كربتي.. ولم يكن ذلك عن إخلاص منيّ ولكنها الفطرة. وعدتُ إلى سيارتي وبعد عدة محاولات تمكنت بعون الله من رفعها، وقمت بتبديل العجلة التالفة وأخرجت السيارة وقد أوشكت الشمس على الغروب.
وبعد هذا كله لم أتعظ بل واصلتُ سيري طمعاً في فعل تلك المعصية، ولكن الله عصمني منها حيث فاتَ الموعد، فصليتُ المغربَ هناك ثم عدتُّ من حيث أتيتُ، وبدأ أولئك الشباب الطيبون يكثرون من زيارتي، ويُلحون عليّ في حضور مجالسهم، فكنت أتردد عليهم وأجلس معهم، فكانت رائحة الدخان تفوح من ثيابي، ومن فمي، فلم يظهروا لي انزعاجهم من ذلك، بل كانوا يقتربون مني ويرحبون بي ثم (يطيّبونني)، ويمسحون علي يديّ من دهن العود، فكنت أستغرب عملهم هذا ومعاملتهم الطيبة.
كنتُ أجلس معهم من بعد صلاة المغرب إلى العشاء، وبعد صلاة العشاء أعود إلى أصحابي الآخرين (السيئين)، فأجلس معهم إلى الفجر فلا أسمع منهم إلا السب والشتم والكلمات البذيئة والألفاظ النابية، واستمر الحال على ذلك، أجلس مع هؤلاء وهؤلاء، مع ارتياحي لأولئك الطيبين لما أسمعه منهم.
ثم جاءتْ الضربةُ القاضيةُ، فقد بدأتُ أخطط للزواج، فتقدمتُ لخطبة فتاة ملتزمة، فخدعتُ أهلها وأقنعتهم بأني شابٍ صالح، أصلي وأخاف الله، ولكن الفتاة رفضتُ إلا شابًا ملتزماً، وحاولت إقناعها، ولكنها أصرتْ على موقفها، وقالت: لن أقبل إلا شاباً ملتزماً، وكان مظهري لا يوحي بأني شاب ملتزم،

فأصبتُ بصدمة عنيفة، وقلت في نفسي: ما معنى (شاب ملتزم)؟!

وعدتُّ إلى البيت، وأنا أفكر في قولها، وأقول في نفسي: لماذا لا أكون شاباً ملتزماً؟ وكان الله ألهمني في تلك اللحظة أن أكون كذلك... فذهبتُ إلى الشيخ عبد الواحد، وأخبرته بأني سوف أبدأ حياة جديدة، وأكون شاباً مستقيماً.

وبالفعل بدأتُ حياةً جديدةً فابتعدتُّ عن رفقاء السوء، الذين كانوا هو سبب شقائي وتعاسي، وأصبحتُ شابّاً ملتزماً، والله سبحانه أعانني على ذلك، والآن قد مضى على التزامي -ولله الحمد- خمس سنوات تقريباً.

فأسأل الله أن يثبتني وإياكم على دينه، إنه سميع مجيب.

(7) توبة فتاة متبرجة[16]

إن الفرق بين المرأة المتحجبة الطاهرة، والمرأة المتبرجة السافرة، كالفرق بين الجوهرة الثمينة المصونة وبين الوردة التي في قارعة الطريق.

فالمرأة المحجبة مصونة في حجابها، محفوظة من أيدي العابثين، وأعينهم.

أما المرأة المتبرجة السافرة، فإنها كالوردة على جانب الطريق، ليس لها من يحفظها أو يصونها، فسرعان ما تمتد إليها أيدي العابثين، فيعبثون بها، ويستمتعون بجمالها بلا ثمن حتى إذا ذبلتْ وماتتْ، ألقوها على الأرض، ووطئها الناس بأقدامهم.

فماذا تختارين أختي المسلمة؟ أن تكوني جوهرة ثمينة مصونة، أم وردة على قارعة الطريق؟

وإليك أختي المسلمة هذه القصة، لفتاة كانت من المتبرجات، فتابت إلى الله، وعادت إليه، فها هي تروي قصتها فتقول:

(نشأتُ في بيتٍ مترفٍ وفي عائلة مترفة، ولما كبرتُ قليلاً بدأتُ أرتدي الحجاب، وكنت أرتديه على أنه من العادات والتقاليد لا على أنه من التكاليف الشرعية الواجبة التي يثاب فاعلها، ويعاقب تاركها، فكنتُ أرتديه بطريقة تجعلني أكثر فتنةً وجمالاً.

أما معظم وقتي فكنتُ أقضيه في سماع لهو الحديث الذي يزيدني بعداً عن الله وغفلة.

أما الإجازات الصيفية فكنّا نقضيها خارج البلاد، وهناك كنت ألقي الحجاب جانباً وأنطلق سافرة متبرجة، ([17]) وكأن الله لا يراني إلا في بلدي، وكأنه لا يراقبني هناك.

وفي إحدى الإجازات سافرنا إلى الخارج، وقدّر الله علينا بحادث توفي فيه أخي الأكبر، وأصيب بعض الأهل بكسور والآم، ثم عدنا إلى بلادنا،.

---

[16]( ) هذه القصة كتبتها لي هذه التائبة بنفسها.

[17]( ) هذا حال بعض الفتيات اللاتي يسافرن إلى الخارج، فالويل لهن من رب السماوات والأرض، الذي يراهن في كل مكان.

كان هذا الحادث هو بداية اليقظة، كنتُ كلما تذكرته أشعر بخوف شديد ورهبة، إلا أن ذلك لم يغير من سلوكي شيئاً، فما زلتُ أتساهل بالحجاب، وألبس الملابس الضيقة، وأستمع إلى ما لا ينفع من لهو الحديث.

والتحقتُ بالجامعة، وفيها تعرفت على أخوات صالحات، فكنّ ينصحنني ويحرضن على هدايتي.

وفي ليلة من الليالي ألقيت بنفسي على فراشي، وبدأت أستعرض سجل حياتي الحافل باللهو واللغو والسفور والبعد عن الله سبحانه وتعالى، فدعوت ربي والدموع تملأ عيني أن يهديني وأن يتوب عليّ.

وفي الصباح، ولدتُّ من جديد، وقررتُ أن أواظب على حضور الندوات والمحاضرات والدروس التي تقام في مصلى الجامعة.

وبدأت -فعلاً- بالحضور، وفي إحدى المرات ألقتْ إحدى الأخوات محاضرة عن الحجاب وكررت الموضوع نفسه في يوم آخر، فكان له الأثر الكبير على نفسي وبعدها -والله الحمد- تبتُ إلى الله، والتزمتُ بالحجاب الشرعي، الذي أشعر بسعادة كبيرة وأنا أرتديه).

(8) توبة فتاة من ضحايا الغزو الفكري([18])

تقول هذه التائبة:

(كنـت لا أصـلي إلا نـادراً، منهمكـة فـي قـراءة مـا لا ينفعنـي، ومطالعة ما لا يفيـدني، منشـغلة بسـماع مـا يغضـب اللـه عـز وجل.. غارقة في عالم المعاصي.

كانت بداية الهداية عندما دخلتُ المطبـخ ذات مـرة واخـترقت يدي، فأخذت أبكي، واستغفرتُ اللـه، وأحسسـت بـأنه عقـاب لي وتذكير بنار جهنم التي هي أشد حـراً، فأخـذت أصـلي تلـك الليلة، وأستغفر الله، وداومت علـى الصـلاة، ولكنـي لـم أكـن أخشع في صلاتي، لأني مازلت مصـرة علـى ذنـوبي السـابقة، فكنت أصلي صلاة جافة بلا روح، أركعُ وأسـجد دون استشـعار لمـا أقـرأه مـن آيـات أو أقـوله مـن أدعيـة، لأن قلـبي ممتلـئ بالمعاصي، وليس فيه محل لذكر الله أو الخشوع في الصلاة.

كانت إحـدى صـديقاتي تلـح علـيّ دائمـاً فـي حضـور مجـالس الذكر، ولكنني كنت أرفض وأتهرب منها.

وذات مرة ألحت عليّ صديقتي فذهبت معهـا مرغمـةً، وكـانت المحاضرة عن الصلاة، فأحسستُ أني بحاجة لهـذا الموضـوع، خاصة حين أخذتِ المحاضرة تشرح قـوله تعـالى: (إن الصـلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) فقالت: إن الصلاة تجعل الإنسان أو المصلي يبتعد عن كل فاحشة وكل منكر، فهـي تنهـاه عنـه، وهذه حقيقة أثبتها الله تعالى، ولكنا نجد أن أغلـب المصـلين لا تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، بل إن أحدهم ليفكر في صلاته ماذا سيفعل بعد قليل، فصلاته لم تنهه عن المنكر، وهذا دليل على أن الصلاة ناقصة، فعليه أن يراجع نفسه، هل نقـص من خشوعها،؟ هل نقص من اطمئنانها؟ هـل استشـعر وتـدبر كل ما يقرأ ويقول؟ إلى آخر ما قالت:

---

[18]( ) هذه القصة كتبتها لي هذه التائبة بنفسها.

فوقعتْ كلماتها عليّ كالماء البارد على الظمأ، فهذا ما أحســه وأفتقده، ومن تلك اللحظـة، أخـذت أستشـعر كـل مـا أقـرأه، حتى سورة الفاتحة اكتشفتُ فيها معـانٍ لـم أكـن أستشـعرها من قبل، فحمدت الله على أن هداني إلى الصراط المستقيم، ودعـوتُ لهـذه المحاضـرة فـي ظهـر الغيـب... واقتـديتُ بهـا فأصبحت من الدعاة إلى الله، لعل الله أن ينفع بكلماتي ويفتح بها قلوباً غلفاً، وآذاناً صماً، والحمد لله رب العالمين.

(9) توبة شاب رأى الموت بعينيه([19])

شاب من ضحايا رفقاء السوء، كانت له صولات وجـولات فـي عالم الضياع والمخدرات، حدثت في حياته حادثة أيقظتـه مـن غفلته، وأعادته إلى خالقه، التقيتُ به في أحد مساجد الرياض، فحدثني عن قصته، فقال:

نشأتُ في بيت متدين جدّاً، في حي من أحياء مدينـة الريـاض، والدي رحمه الله كان شديد التدين، فلـم يكـن يسـمح بـدخول شيء من آلات اللهو والفساد إلى البيت.

ومضتِ الأيام، وتجاوزت مرحلة الطفولة البريئـة، ولمـا بلغـت الرابعـة عشـرة مـن عمـري -وكنـت فـي السـنة الثانيـة مـن المرحلة المتوسطة- حدث في حيـاتي حـادث كـان سـبباً فـي تعاستي وشقائي فترة من الزمن، فقـد تعرفـت علـى (شـلة) من رفقاء السوء، فكانوا ينتظرون الفرصة المناسبة لإيقــاعي في شباكهم ([20]).

وجاءت الفرصة المناسبة، فترة الامتحانات، فجاءوني بحبـوب بيضاء منبهة، فكنت أسهر عـدداً مـن الليـالي المتواليـات فـي المـذاكرة دون أن يغلبنـي نعـاسٌ، أو أشـعر بحاجـة إلـى نـوم، وانتهتِ الامتحانات، ونجحتُ بتفوق!!

وبعد الامتحانات داومت علـى تعـاطي هـذه الحبـوب البيضـاء، فــأرهقني الســهر، وتعبــتُ تعبــاً شــديداً، فجــاءني أولئــك (الشـياطين)، وقـدموا لـي فـي هـذه المـرة حبوبـاً حمـراء (مخدرات)، وقالوا لـي: إنهـا تطـرد عنـي السـهر وتجلـبُ لـي النـوم والراحـة، ولـم أكـن -لصـغر سـني- أدرك حقيقـة هـذه اللعبة، وهذا التآمر وهذا المكر الخبيث مـن هـؤلاء الشـياطين، شياطين الإنس.

أخـذت أتعـاطى هـذه الحبـوب الحمـراء يوميـاً وبالعشـرات، وبقيتُ على هذه الحال ثلاث سنوات تقريباً أو أكـثر، وفشـلت

---

[19]( ) هذه القصة رواها لي هذا الشاب بنفسه.

[20]( ) مصاحبة الأشرار من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الانحراف والفساد والبعد عن الله والوقوع في المعاصي والذنوب وربما الكفر، وبالمقابل فإن مصاحبة الأخيار من أعظم أسباب الهداية والصلاح والقرب من الله. فالواجب الحذر من رفقاء السوء.

في دراستي، ولم أتمكن من إتمـام المرحلـة المتوسـطة مـن الدراسة والحصول على الشهادة، فصرتُ أنتقل مـن مدرسـة إلى مدرسة عليّ أحصل عليها، ولكـن دون جـدوى، وبعـد هـذا الفشل الذريع الذي كان سببه هذه الحبوب المشؤومة، فكرتُ في الانتقال إلى مدينة أخـرى، حيـث يقيـم عمـي وأولاده فـي محاولة أخيرة لإتمام الدراسة.
وفي ليلة من ليالي الشتاء الـبرادة -وكـان والـدي قـد اشـترى سيارة جديدة- أخذت هذه السيارة دون علم والـدي، واتجهـتُ إلى تلـك المدينـة، وكنـتُ أحمـل فـي جيـبي كميـة كـبيرة مـن الحبوب الحمراء.
وفي الطريق توقفت عنـد بعـض الأصـحاب، وفـي تلـك الليلـة أسرفتُ في تناول هذه الحبوب حتى أصبحتُ في وضـع يرثـى له.
وقبيل الفجر، ركبتُ السيارة وانطلقت في طريقي، ومـا هـي إلا دقائق حتى غبتُ عن الدنيا ولم أفق إلا وأنا في المستشفى في حالة سيئة، قد كسرت سـاقي اليمنـى، وأصـبحت بجـروح كثيرة، بعد أن مكثت في غرفة الإنعاش ثمانٍ وأربعيـن سـاعةً، فقد كان حادثاً شنيعاً حيث دخلتُ بسيارتي تحت سـيارة نقـل كبيرة، ومن رحمة الله بي أن كتب لي الحياة، ومنحنى فرصـة جديدة، لعلي أتوب وأقلع عمّا أنا فيه، ولكن شيئاً من ذلـك لـم يحدث.
نقلت من المستشفى إلى بيت والدي بالرياض، وفـي الـبيت كنت أتعاطى هذه الحبوب النكدة.
قد تسألني وتقول: كيف تحصل على هذه الحبوب، وأنت على فراش المرض؟
فـأقول: لقـد كـان أولئـك الشـياطين يـأتون إلـيّ فـي الـبيت فيعرضون علي بضاعتهم، فأشتري منهم، بـالرغم مـن حـالتي السيئة.
بقيتُ على هذه الحال أياماً، حـتى أحسسـت بتحسـن بسـيط، وكانت فكرة السفر تراودني حتى تلك اللحظة أملاً في إكمال دراستي المتوسطة.

وفي عصر أحد الأيام، وبعد أن تناولت كمية كبيرة من هذه الحبوب، خرجت أتوكأ على عكازي وأخذت أبحث عن سيارة تنقلني إلى المدينة، حاولت أن أوقف عدداً من السيارات إلا أن أحداً لم يقف لي، فذهبت إلى موقف سيارات الأجرة واستأجرت سيارة أوصلتني إلى هناك.
وهناك، بادرت بالتسجيل في إحدى المدارس المتوسطة بعد جهود بذلها عمي وغيره في قبولي، وحصلتُ على شهادة الكفاءة، وكنت أثناء الدراسة مستمراً على تعاطي المسكرات، إلا أنني تركتُ المخدرات ووقعتُ في الشراب (الخمر)، وفي الوقت نفسه كنت أقوم بترويج تلك الحبوب الحمراء، وبيعها بسعر مضاعف، ولم أكن أدرك فداحة هذا الأمر وخطورته، فقد كان همي جمع المال -أسأل الله أن يتوب عليّ-.
ثم وقعتُ بعد ذلك في الحشيش وأدمته، وكنت أتعاطاه عن طريق التدخين، فكنت أذهب إلى المدرسة وأنا في حالة هستيرية فأرى الناس من حولي كأنهم ذباب أو حشرات صغيرة، لكني لم أكن أتعرض لأحد، لأن الذي يتعاطى هذا البلاء يكون جباناً يخاف من كل شيء.
بقيت على هذه الحال سنتين تقريباً، وكنت آنذاك أسكن بمفردي في بيت يقع في مكان ناءٍ في طرف البلد.
وفي يوم من الأيام جاءني اثنان من شياطين الإنس الذين أعرفهم -وكان أحدهم متزوجاً- فأوقفت سيارتي وركبت معهم، وكان ذلك بعد صلاة العصر، فأخذنا ندور وندور في شوارع البلد.
وبعد جولة دامت عدة ساعات، أوقفوني عند سيارتي، فركبتها واتجهت إلى البيت فلم أستطع الوصول إليه، فقد كنت في حالة سكر شديد.
ظللت مدة ساعتين أو أكثر أبحث عن البيت فلم أجده!!!
وفي نهاية المطاف وبعد جهد جهيد وجدته... فلما رأيته فرحتُ فرحاً شديداً، فلما هممتُ بالنزول من السيارة

أحسستُ بألم شـديد جـداً فـي قلـبي، وبصـعوبة بالغـة نزلـت ودخلت البيت، وفي اللحظات تذكرت الموت.
نعم، والله أيها الاخوة لقد تذكرتُ الموت كأنه أمـامي يريـد أن يهجم عليّ، ورأيت أشياء عجيبة أعجز عن وصفها الآن فقمـتُ مسرعاً ومن غير شعور، ودخلت دورة المياه وتوضـأت، وبعـد خروجي من الدورة عدتُّ وتوضـأت ثانيـة.. ثـم أسـرعت إلـى إحدى الغرف وكبرت ودخلت في الصـلاة، وأتـذكر أنـي قـرأت في الركعة الأولى بالفاتحة، و (قل هو الله أحـد) ولا أتـذكر مـا قرأته في الركعة الثانية.
المهم أنني أديت تلك الصلاة بسرعة شديد قبل أن أموت!!
وألقيت بنفسي على الأرض، على جنبي الأيسـر، واستسـلمت للموت، فتذكرت تلك اللحظات أننـي سـمعت أن الميـت مـن الأفضـل أن يوضـع علـى جنبـه الأيمـن فتحـولت إلـى الجنـب الأيمن، وأنا أحس بأن شيئاً ما يهز كياني هزاً عنيفاً.
ومرت في خاطري صور متلاحقـة مـن سـجل حيـاتي الحافـل بالضـياع والمجـون، وأيقنـت أن روحـي قـد أوشـكت علـى الخروج.
ومرّت لحظات كنت أنتظر فيها الموت، وفجأة حرّكـتُ قـدمي فتحركتْ، ففرحـتُ بـذلك فرحـاً شـديداً، ورأيـت بصيصـاً مـن الأمل يشعّ من بيـن تلـك الظلمـات الحالكـة، فقمـت مسـرعاً وخرجت من البيت وركبت سيارتي، وتوجهت إلى بيت عمي.
دفعـت البـاب ودخلـت، فوجـدتهم مجتمعيـن يتنـاولون طعـام العشاء، فألقيت بنفسي بينهم.
قام عمي فزعاً وسألني: ما بك؟!!
فقلت له: إن قلبي يؤلمني.
فقام أحد أبناء عمي، وأخذني إلى المستشفى، وفـي الطريـق أخـبرته بحـالي وأننـي قـد أسـرفت فـي تعـاطي ذلـك البلاء، وطلبتُ منه أن يذهب بي إلى طبيب يعرفـه، فـذهب بـي إلـى مستوصف أهلي، فلما كشف علـيّ الطـبيب وجـد حـالتي فـي غاية السـوء حيـث بلغـت نسـبة الكحـول فـي جسـمي 94%، فامتنع عن علاجي، وقال لابدّ من حضور رجال الشرطة، وبعد

محاولات مستمرة وإلحاح شديد وإغراءات وافق على علاجي، فقاموا بتخطيط للقلب ثم بدءوا بعلاجي.
كان والدي في ذلك الوقت موجوداً في تلك المدينة، فلما علم أني في المستشفى جاء ليزورني، وقد رأيته وقف فوق رأسي فلما شم رائحتي ضاق صدره فخرج ولم يتكلم.
أمضيت ليلة تحت العلاج، وقبل خروجي نصحني الطبيب بالابتعاد عن المخدرات، وأخبرني بأن حالتي سيئة جداً.
وخرجت من المستشفى، وأحسست بأني قد منحت حياة أخرى جديدة، وأراد الله بي خيراً، فكنت فيما بعد كلما شممت رائحة الحشيش أصابني مثل ما أصابني في تلك الليلة وتذكرت الموت، فأطفئ السيجارة، وكنتُ كلما نمت بالليل أشعر بأن أحداً يوقظني ويقول لي: قم، فأستيقظ وأنا أنتفض من الخوف، فأتذكر الموت والجنة والنار والقبر، كما كنت أتذكر صاحبين لي من رفقاء السوء لقيا حتفهما قبل وقت قصير، فأخاف أن يكون مصيري كمصيرهما، فكنت أقوم آخر الليل فأصلي ركعتين -ولم أكن أعرف صلاة الوتر في ذلك الحين- ثم بدأت أحافظ على الصلوات المفروضة، وكنتُ كلما شممت رائحة الحشيش أو الدخان أتذكر الموت فأتركهما.
وبقيت على هذه الحال أربعة أشهر أو أكثر حتى قيض الله لي أحد الشباب الصالحين فالتقطني من بين أولئك الأشرار، وأخذني معه إلى مكة المكرمة لأداء العمرة، وبعدها ولله الحمد تبت إلى الله وعدت إليه.
ونصيحتي للشباب المسلم أن يحذروا كل الحذر من شياطين الإنس، ورفقاء السوء، الذين كانوا سبباً في شقاقي وتعاستي سنوات طويلة، ولولا رأفة الله ورحمته حيث أنقذني من بين أيديهم لكنت من الخاسرين.
وأسال الله أن يتوب عليّ، وعلى جميع المذنبين والعاصيين إنه توّاب رحيم.

(10) توبة امرأة مغربية بعد إصابتها بالسرطان وشفائها منه في بيت الله[21]

(ليلى الحلوة) امرأة مغربية، أصيبت بالمرض الخبيث (السرطان)، فعجز الأطباء عن علاجها، ففقدت الأمل إلا بالله الذي لم تكن تعرفه من قبل، فتوجهت إليه في بيته الحرام، وهناك كان الشفاء، والآن -عزيزي القارئ- أتركك مع الأخت ليلى لتروي تفاصيل قصتها بنفسها، فتقول:

منذ تسع سنوات أصبتُ بمرض خطير جداً، وهو مرض السرطان، والجميع يعرف أن هذا الاسم مخيف جداً وهناك في المغرب لا نسميه السرطان، وإنما نسميه (الغول) أو (المرض الخبيث).

أصبتُ بالتاج الأيسر، وكان إيماني بالله ضعيفاً جداً، كنتُ غافلة عن الله تعالى، وكنت أظن أن جمال الإنسان يدوم طوال حياته، وأن شبابه وصحته كذلك، وما كنت أظن أبداً أني سأصاب بمرض خطير كالسرطان، فلما أصبتُ بهذا المرض زلزلني زلزالاً شديداً، وفكرت في الهروب، ولكن إلى أين؟! ومرضي معي أينما كنت، فكرت في الانتحار، ولكني كنتُ أحب زوجي وأولادي، وما فكرت أن الله سيعاقبني إذا انتحرت، لأني كنت غافلة عن الله كما أسلفت.

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يهديني بهذا المرض، وأن يهديني بي كثيراً من الناس فبدأت الأمور تتطور.

لما أصبتُ بهذا المرض رحلت إلى بلجيكا، وزرت عدداً من الأطباء هناك، فقالوا لزوجي لابدّ من إزالة الثدي.. وبعد ذلك استعمال أدوية حادّة تُسقط الشعر وتزيل الرموش والحاجبين، وتعطي لحية على الوجه، كما تسقط الأظافر والأسنان، فرفضتُ رفضاً كلياً، وقلت: إني أفضل أن أموت بثديي وشعري وكل ما خلق الله بي ولا أشوّه، وطلبتُ من

---

[21] ( ) هذه القصة نقلتها من شريط مسجل بصوتها هي. (باختصار).

الأطبـاء أن يكتبـوا لـي علاجـاً خفيفـاً ففعلـوا. فرجعـتُ إلـى المغرب، واستعملتُ الـدواء فلـم يـؤثر علـيّ ففرحـتُ بـذلك، وقلت في نفسي: لعل الأطبـاء قـد أخطئـوا، وأنـي لـم أصـب بمرض السرطان.

ولكن بعد ستة أشهر تقريباً، بـدأت أشـعر بنقـص فـي الـوزن، لـوني تغيـر كـثيراً وكنـت أحـس بـالآلام، كـانت معـي دائمـاً، فنصحني طبيبي في المغرب أن أتوجه إلـى بلجيكـا، فتـوجهت إلى هناك.

وهناك، كانت المصيبة، فقد قال الأطبـاء لزوجـي: إن المـرض قد عمّ، وأصيبت الرئتـان، وأنهـم الآن ليـس لـديهم دواء لهـذه الحالة.. ثم قالوا لزوجـي مـن الأحسـن أن تأخـذ زوجتـك إلـى بلدها حتى تموت هناك.

فُجِعَ زوجي بما سمع، وبدلاً من الذهاب إلى المغرب ذهبنا إلى فرنسا حيث ظننا أننا سنجد العلاج هناك، ولكنا ولم نجد شـيئاً، وأخيراً حرصنا على أن نستعين بأحد هناك لأدخل المستشـفى وأقطع ثديي وأستعمل العلاج الحاد.

لكن زوجي يذكر شيئاً كنا قد نسيناه، وغفلنا عنه طوال حياتنا، لقد ألهم الله زوجي أن نقـوم بزيـارة إلـى بيـت اللـه الحـرام، لنقف بين يديه سـبحانه ونسـأله أن يكشـف مـا بنـا مـن ضـرّ، وذلك ما فعلنا.

خرجنا من باريس ونحن نهلل ونكبر، وفرحتُ كثيراً لأنني لأول مـرة سـأدخل بيـت اللـه الحـرام، وأرى الكعبـة المشـرفة، واشـتريتُ مصـحفاً مـن مدينـة بـاريس، وتوجهنـا إلـى مكـة المكرمة.

وصلنا إلى بيت الله الحرام، فلما دخلنـا ورأيـتُ الكعبـة بكيـتُ كثيراً لأنني ندمت على ما فاتني من فرائـض وصـلاة وخشـوع وتضرع إلى الله، وقلت: يا رب.. لقد استعصـى علاجـي علـى الأطباء، وأنت منك الداء ومنك الدواء، وقد أغلقتْ فـي وجهـي جميع الأبواب، وليس لي إلا بابك فلا تغلقه في وجهـي وطفـتُ حول بيت اللـه، وكنـت أسـأل اللـه كـثيراً بـأن لا يخيبنـي، وأن يخذلني، وإن يحيّر الأطباء في أمري.

وكما ذكرت آنفاً، فقد كنت غافلة عن الله، جاهلـة بـدين اللـه، فكنـت أطـوف علـى العلمـاء والمشـايخ الـذين كـانوا هنـاك، وأسألهم أن يدلوني على كتـب وأدعيـة سـهلة وبسـيطة حـتى أستفيد منها، فنصحوني كثيراً بتلاوة كتـاب اللـه والتضـلع مـن ماء زمـزم -والتضـلع هـو أن يشـرب الإنسـان حـتى يشـعر أن الماء قد وصلى أضلاعه- كما نصحوني بالإكثار مـن ذكـر اللـه، والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم.
شعرت براحة نفسية واطمئنان فـي حـرم اللـه، فطلبـتُ مـن زوجي أن يسمح لي بالبقـاء فـي الحـرم، وعـدم الرجـوع إلـى الفندق، فأذن لي.
وفي الحرم كان بحواري بعض الأخوات المصريات والتركيـات كنَّ يرينني أبكي كثيراً، فسألنني عن سبب بكائي فقلت: لأنني وصلتُ إلى بيت الله، وما كنت أظن أنـي سـأحبه هـذا الحـب، وثانياً لأنني مصابة بالسرطان.
فلازمنني ولم يكن يفارقنني، فأخبرتهن أنني معتكفة في بيـت الله، فأخبرن أزواجهن ومكثن معي، فكنا لا ننام أبداً، ولا نأكـل من الطعام إلا القليل، لكنا كنا نشـرب كـثيراً مـن مـاء زمـزم، والنبي صلى الله عليه وسلم، يقـول: (*مـاء زمـزم لمـا شـرب له*)، إن شربتَه لتشفى شفاك الله، وإن شربته لظمأك قطعــه الله، وإن شربته مستعيذاً أعاذك الله، فقطع الله جوعنا، وكنـا نطوف دون انقطاع، حيث نصلي ركعتين ثـم نعـاود الطـواف، ونشرب من ماء زمزم ونكثر من تلاوة القرآن، وهكذا كنا فــي الليل والنهار لا ننام إلا قليلاً، عندما وصلتُ إلى بيت اللـه كنـت هزيلـة جـداً، وكـان فـي نصـفي الأعلـى كـثير مـن الكـويرات والأورام، التي تؤكد أن السرطان قد عمّ جسمي الأعلى، فكنّ ينصحنني أغسل نصفي الأعلى بماء زمزم، ولكني كنت أخـاف أن ألمــس تلــك الأورام والكــويرات، فأتــذكر ذلــك المــرض فيشغلني ذلك عن ذكر الله وعبـادته، فغسـلته دون أن ألمـس جسدي.
وفـي اليـوم الخـامس ألـحّ علـيّ رفيقـاتي أن أمسـح جسـدي بشيء من ماء زمزم فرفضتُ في بداية الأمر، لكني أحسستُ

بقوة تدفعني إلى أن آخذ شيئاً من ماء زمزم وأمسح بيدي على جسدي، فخفت في المرة الأولى، ثم أحسست بهذه القوة مرة ثانية، فترددت ولكن في المرة الثالثة ودون أن أشعر أخذت يدي ومسحت بها على جسدي وثديي الذي كان مملوءاً كله دماً وصديداً وكويرات، وحدث ما لم يكن في الحسبان، كل الكويرات ذهبت ولم أجد شيئاً في جسدي، لا ألماً ولا دماً ولا صديداً.
فاندهشتُ في أول الأمر، فأدخلت يدي في قميصي لأبحث عما في جسدي فلم أجد شيئاً من تلك الأورام، فارتعشتُ، ولكن تذكرتُ أن الله على كل شيء قدير، فطلبت من إحدى رفيقاتي أن تلمس جسدي، وأن تبحث عن هذه الكويرات، فصحن كلهن دون شعور: الله أكبر الله أكبر.
فانطلقتُ لأخبر زوجي، ودخلتُ الفندق، فلما وقفتُ أمامه مزقتُ قميصي وأنا أقول، انظر رحمة الله، وأخبرته بما حدث فلم يصدق ذلك، وأخذ يبكي ويصيح بصوت عالٍ ويقول: هل علمتِ أن الأطباء أقسموا على موتك بعد ثلاثة أسابيع فقط؟
فقلت له: إن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى ولا يعلم الغيب إلا الله.
مكثنا في بيت الله أسبوعاً كاملاً، فكنت أحمد الله وأشكره على نعمه التي لا تُحصى، ثم زرنا المسجد النبوي بالمدينة المنورة ورجعنا إلى فرنسا.
وهناك حار الأطباء في أمري واندهشوا وكادوا يُجنّون، وصاروا يسألونني هل أنت فلانة؟! فأقول لهم: نعم –بافتخار- وزوجي فلان، وقد رجعت إلى ربي، وما عدت أخاف من شيء إلا من الله سبحانه، فالقضاء قضاء الله، والأمر أمره.
فقالوا لي: إن حالتك غريبة جداً وإن الأورام قد زالت، فلابد من إعادة الفحص.
أعادوا فحصي مرة ثانية فلم يجدوا شيئاً وكنت من قبل لا أستطيع التنفس من تلك الأورام، ولكن عندما وصلت إلى بيت الحرام وطلبت الشفاء من الله ذهب ذلك عني.

بعد ذلك كنتُ أبحث عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وعن سيرة أصحابه رضي الله عنهم وأبكي كثيراً، كنت أبكي ندماً على ما فاتني من حُب الله ورسوله، وعلى تلك الأيام التي قضيتها بعيدة عن الله عز وجل، وأسأل الله أن يقبلني وأن يتوب عليّ وعلى زوجي وعلى جميع المسلمين.

(11) توبة تحت الأمواج ([22])

شاب عشق البحر وأحبه، ولأجل ذلك اشترى مركباً ليبقى في البحر أطول وقت ممكن، كيف لا وقد أصبح الموج النغمة الحالمة التي يحب أن يسمعها دائماً.
كان يتنزه مع أصدقائه فأراد الله به خيراً فحدثتِ المفاجأة يقول: م. ص. ر:
كنت ذات يوم في البحر مع قاربي وحيداً، أقطع الأمواج وكان الوقت قد قارب على المغرب، وأنا أحب أن أبقى منفرداً في هذه الساعة بالذات، أعيش مع أحلامي، وأقضي أجمل أوقاتي مع الأطياف، وأنا وحيد على الماء الأزرق، وفجأة حدث ما لم يكن في الحسبان، ورأيت القارب وقد اعتلاني، وأصبحت بين الماء أصارع الأمواج والموت معاً.
لم أستطع أن ألتزم بقارب النجاة أو بالطوق المعد لمثل هذه الحالات، صرخت بأعلى صوتي: يا رب أنقذني، صدرتْ هذه الصيحة من أعماق قلبي، ولم أدر بنفسي.
غبت عن الوعي.. استيقظت، أجَلْت بصري يمنة ويسرة، رأيت رجالاً كثيرين يقولون: (الحمد لله، إنه حي لم يمت)، ومنهم اثنان قد لبسا ملابس البحر.
قالوا لي: (الحمد لله الذي نجاك من الغرق)، لقد شارفت على الهلاك، ولكن إرادة الله كانت لك رحمة ومنقذا.
لم أتذكر مما مضى في تلك الحادثة إلا ندائي لربي.
دارت بي الدنيا مرة أخرى، وأصبحت أحدث نفسي، لماذا تجافي ربك؟ لماذا تعصيه؟ كان الجواب: الشيطان والنفس، والدنيا كانت تصرفني عن ذكر الله!!
أفقت من دواري، قلت للحاضرين: هل دخل وقت العشاء؟ قالوا: نعم.
قمت بين دهشة الحضور، توضأت وصليت، قلت: واعجباً هل حقيقة أني أصلي؟! لم أكن أؤدي هذه الصلوات في حياتي إلا

---

[22]( ) جريد البلاد: إعداد: عبد العزيز الحمدان.

مرات قليلة جداً، وفـوق ذلـك رحمنـي ربـي وأكرمنـي بجـوده ومنّه.
عاهدتُ ربي أن لا أعصيه أبداً، وإن أزلنـي الشـيطان أسـتغفر، فإن ربي غفور رحيم.
وبقيت متخوفاً ألا يقبل الله توبتي حتى قـرأت هـذه الآيـة (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).
وتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم، (إن التوبة تجبُّ مـا قبلها)... فاطمأنت نفسي، واستكانت، وعرفت أن اللـه جـواد كريم يفرح بتوبة عبده مهما بلغت ذنوبه.
أسأل الله أن يتوب عليّ وعليكم وعلـى المسـلمين أجمعيـن، إنه سميع مجيب.
واغرورقت عينها بالدموع وانفجر باكياُ حتى أبكانا معه.

(12) توبة شاب بعد سماعه موعظة ([23])

الوعظ أسلوب من أساليب التـأثير والـدعوة إلـى اللـه، ولقـد كـان رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، يتخـول أصـحابه بالموعظة، فإن الموعظة إذا خرجـتْ مـن قلـب صـادق فإنهـا تخترق الحواجز وتصل إلـى القلـوب، فتكـون كـالغيث يُصـيب أرضاً ميتة فتهتز وتحيا بإذن الله، وفيما يلـي قصـة شـاب كـان على موعد مع فعل الحرام، فسمع موعظة من بعيـد لامسـتْ شغاف قلبه فاستيقظ من غفلته وعاد إلـى اللـه يـروي قصـته فيقول: أنا شاب نشأتُ في بيت (مسلم)، ولكنه كـان إسـلاماً (وراثياً) لم يكن أهلي يحثونني على الطاعة واتبـاع شـرع اللـه وينصحونني بذلك، ولكنهم كـانوا يتحمسـون لنصـحي -وأحيانـاً تهديدي- إذا أنا تخلفت عن المدرسـة أو عصـيتهم فـي الأمـور الدنيوية ([24]) ومما لا شك فيه أن من كان هذا حاله فسوف يتجه إلى الهاوية، وهذا ما حدث لي، فلقد ابتليت بصحبة رفقاء سوء زينوا لي الفواحش والمنكرات، وأوقعـوني فـي معاصـي الله.

فكنا نسخر من أهـل الـدين والصـلاح ونسـتهزئ بهـم!!! ومـع استهزائنا بهم كنا نفعل الموبقات وكبائر الذنوب عـل أنـه مـن الرجولة والبطولة، وندفع كل ما نملك في سبيل ذلـك ولـو آل الأمـر بنـا إلـى السـجن، وكنـا مـع ذلـك نتعـاطي المخـدرات والمسكرات، أما الصلاة فلم نكن نعرفها أبـداً أبـداً، وكنـت إذا دخلت دورات المياه التابعة للمسجد يستغرب النـاس دخـولي إليها، لما عرفوا عني من الشر والفساد وعدم الاستقامة.

وفي ليلة من الليالي وفي وقت صلاة العشاء كنت قريبـاً مـن أحد المساجد، وعلى موعد للجلوس مع بعض (الصبيان)، فـإذا بصوت مـؤثر ينطلـق مـن مكـبر الصـوت مـن ذلـك المسـجد، يتحدث عن الجنة والنار، والموت والقبر، فأحسسـت أن ذلـك

---

[23]( ) هذه القصة كتبها لي هذا الشاب بنفسه.

[24]( ) هذا واقع كثير من الأسر وللأسف الشديد، والواجب على الآباء أن يحرصوا على تربية أولادهم تربية إسلامية وأن يختاروا لهم الرفقاء الصالحين، وإلا فإن العاقبة وخيمة.

الصوت يخاطبني ويهزني هزّاً عنيفاً وكأنه يقول لي: أيها الغافل، أما تستحي من الله؟ أما تخاف من الموت أن يأتيك بغتة وأنت على هذه الحال؟ انتبه، انتبه، فتأثرت بذلك، وشعرت بخوف شديد ورهبة.

ومضت تلك الليلة.

وفي الغد وبعد أن أذن المؤذن لصلاة العشاء، قمت وتوضأت واغتسلت ودخلت المسجد، وبدأ الشيخ في حديثه وكنتُ في طرف الصف، فبدأت بالبكاء على نفسي وعلى ما مضى من عمري من التفريط في حق الله وحق الوالدين، وبعد أن أديت الصلاة رجعت إلى البيت مبكراً، فاستبشر أهلي خيراً، فلم يكن من عادتي أن أرجع إلى البيت إلا في منتصف الليل أو آخره.

ومن ذلك الحين تُبتُ إلى الله، ورجعت إليه، وأنا أدعو الله أن يثبتني وإياكم، وأن يغفر لنا وللشيخ الذي كان -بعد الله- سبباً في إنقاذي من الهلاك.

(13) توبة فتاة من عالم الأزياء إلى كتب العلم والعقيدة ([25])

إن إفساد المرأة المسلمة وإخراجها من دينها من أهم ما يسعى إليه أعداء الإسلام باسم (تحرير المرأة)، ذلك أن المرأة هي المدرسة التي تتربى فيها الأجيال وتتخرج، وبفسادها تفسد الأجيال.

يقول (يوبه) الماسوني سنة 1879م:

(تأكدوا تماماً أننا لسنا منتصرين على الدين إلا يوم تشاركنا المرأة فتمشي في صفوفنا)، ولكي تمشي المرأة في صفوفهم أخذوا يحيكون المؤامرات، والمخططات ليلاً ونهاراً، ومنها إشغال المرأة بالتوافه من الأمور كالاهتمام الزائد باللباس والزينة والتجمل، وإغراق الأسواق بمجلات الأزياء المتخصصة التي تحمل في طياتها آخر ما تفتّق عن العبقرية اليهودية ([26]) من الأزياء العارية الفاتنة، و(الموديلات) الرخيصة الماجنة التي تتنافى مع ما أمر الله به المرأة من الحشمة والعفاف والستر، وقد قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (*من تشبه بقوم فهو منهم*).

والآن سنقف قليلاً مع إحدى الأخوات، لتحدثنا عن رحلتها مع عالم الأزياء والجمال الزائف إلى عالم آخر، عالم الكتب وطلب العلم، فتقول:

عشتُ بداية حياتي في ضلال وضياع وغفلة، بين سهر على معاصي الله، وتأخير للصلاة عن وقتها، ونوم وخروج إلى الحدائق والأسواق، ومع ذلك كله فقد كنت أصلي أصوم، وأحاول أن ألتزم بأوامر الشرع التي تعلمتها منذ نعومة أظفاري، حتى أني -في المرحلة المتوسطة- كنت أعدّ ملتزمة بالنسبة لغيري من الفتيات الأخريات، ولكن حب المرأة للزينة

---

[25]( ) هذه القصة كتبتها لي هذه التائبة بنفسها.

[26]() (بيوت الأزياء الكبرى يهودية وكذلك بيوت الزينة، واليهود يكسبون مها كسباً مضاعفاً، يكسبون أرباحاً خيالية لا تدرها الصناعات الأخرى، ويكسبون سريان الفساد كالسم في مجتمع الأميين (غير اليهود). (محمد قطب/ مذاهب فكرية ص 150، الهامش.

والجمال والشهرة وميلها الغريزي إليه كان مـن أكـبر مـداخل الشيطان عليّ.
فقد كنتُ مفتونة جدّاً بالأناقة وحبّ ابتكـار (المـوديلات) الـتي قد يستصغرها البعـض ويقـول: إنهـا ليسـت بمعصـية، ولكنـي أقول: إنها قد تكون من أكبر المعاصي، فقد كـانت هـي وقـتي كله، كنت أفكر فيها عند الطعـام والشـراب والنـوم والسـفر، وأثنـاء الحصـص المدرسـية، حـتى الاختبـارات، مـع حرصـي الشديد على المذاكرة والتفوق حيـث كنـت مـن الأوائـل علـى المرحلة بكاملها.
وأعظم من ذلـك، أن مثـل هـذه الأمـور التافهـة كـانت تشـغل تفكيري حتى في الصلاة والوقوف بين يدي الله، فـإذا انتهيـتُ من الصلاة بـدأت فـي وصـف الموديـل الـذي فكـرت بـه فـي الصلاة لأختي، وهي كذلك.
وأذكر مرة أني حضرت زواجاً لإحـدى قريبـاتي، وحـزتْ علـى إعجاب الكثيرات من بنات جيلـي مـن إطـراء ومديـح بطريقـة اللبس مما زاد مـن غـروري، وجعلنـي أتحسـر وأتـألم لِـمَ لـم ألبس أفضل لأحوز على مديح أكثر، وأخذت أتحسر لمدة سـنة تقريباً.
قد تستغربون ذلك، ولكن هذا كله بسبب الصديقات المنحلات اللاتي كنت أختارهنّ، فكنت بالنسبة لهن ملتزمة.
وفي نهاية المرحلة الثانوية يسر الله لي طريـق الهدايـة، فقـد كنت أذهب أثناء الاختبارات إلـى مصـلى المدرسـة لأذاكـر مـع صـديقاتي، فأجـد هنـاك بعـض حلقـات العلـم فـأجلس إليهـا وأستمع أنا وزميلاتي، فأثر ذلك فيّ، ممـا جعلنـي بعـد التخـرج ودخول الجامعة ألتحق بقسم الدراسات الإسلامية.
وفي الجامعة، تعرفتُ على أخوات صالحات، وبفضل اللـه ثـم بفضل أخواتي الصالحات ومجالس الذكر والإلحاح في الـدعاء أعانني الله على أن استبدل حب الدنيا بطلب العلم، حتى أني أنسى حاجتي للطعـام والشـراب مـع طلـب العلـم، ولا أزكـي نفسي ولكن اللـه يقـول: (وأمـا بنعمـة ربّـك فحـدّث). سـورة الضحى الآية 11.

كما أصبحت بعد الالتزام أشعر بسعادة تغمر قلبي فأقول: بأنه يستحيل أن يكون هناك إنسان أقل مني التزاماً أن يكون أسعد مني، ولو كانت الدنيا كلها بين عينيه، ولو كان من أغنى الناس.

وهكذا تمت رحلتي من السهر على الفيديو والأفلام الماجنة إلى كتب العقيدة والحديث وأبحاث الفقه.

ومن النوم إلى الظهيرة إلى هدي النبي صلى الله عليه وسلم، في النوم فالإنسان محاسب على وقته، وعليه استغلال كل دقيقة، فإذا كنت في وضع لا يسمح لي بطلب العلم فلساني لا يفتر -والله الحمد- من ذكر الله والاستغفار.

وفي الختام أسأل الله لي ولجميع المسلمين والمسلمات الهداية والثبات.. فأكثر ما ساعدني على الثبات -بعد توفيق الله- هو إلقائي للدروس في المصلى، بالإضافة إلى قراءتي عن الجنة بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، من اللباس والجمال والزينة، والأسواق، والزيارات بين الناس، وهذه من أحب الأشياء إلى قلبي.

فكنت كلما أردت أن أشتري شيئاً من الملابس التي تزيد على حاجتي أقول: ألبسها في الآخرة أفضل.

فتذكري للجنة ونعيمها من أكثر الأسباب المرغبة لي في ترك ملذات الدنيا طمعاً في الحصول عليها كاملةً في الآخرة بإذن الله.

ومن أكثر الأسباب المرغبة لي في ترك المعاصي تذكري للصراط، وأهوال يوم القيامة، وأن الأعمال تعرض على الله أمام جميع الخلائق، وهناك تكون الفضيحة.

(14) توبة شاب كان يتعرض للنساء ([27])

إنها قصة مؤثرة، يرويها أحد الغيورين على دين الله، يقول:
خرجت ذات يوم بسيارتي لقضاء بعض الأعمـال، وفـي إحـدى الطرق الفرعية الهادئة قابلني شاب يركب سيارة صغيرة، لـم يرنـي، لأنـه كـان مشـغولاً بملاحقـة بعـض الفتيـات فـي تلـك الطريق الخالية من المارّة.
كنتُ مسرعاً فتجاوزته، فلما سرت غير بعيد قلت في نفسـي: أأعود فأنصح ذلك الشاب! أم أمضي في طريقي وأدعه يفعـل ما يشاء؟
وبعد صراع داخلي دام عدة ثوانٍ فقط اخترتُ الأمر الأول.
عدتُ ثانية، فإذا به قد أوقف سيارته وهـو ينظـر إليهـن ينتظـر منهن نظرة أو التفاته، فدخلن في أحد البيوت.
أوقفت سيارتي بجوار سـيارته، نزلـت مـن سـيارتي واتجهـت إليه، سلمت عليه أولاً، ثم نصحته فكان مما قلته له: تخيـل أن هؤلاء الفتيات أخواتك أو بناتـك أو قريباتـك فهـل ترضـى لأحـد من الناس أن يلاحقهن أو يؤذيهن؟
كنت أتحدث إليه وأنا أشعر بشيء من الخوف، فقد كان شـابّاً ضخماً ممتلئ الجسم، كان يستمع إليّ وهو مطرق الـرأس، لا ينبس ببنت شفة.
وفجأة الفَتَ إليّ، فإذا دمعة قد سالتْ على خده، فاستبشـرتُ خيراً، وكان ذلك دافعاً لي لمواصلة النصيحة، لقد زال الخـوف مني تماماً، وشـددتُّ عليـه فـي الحـديث حـتى رأيـت أنـي قـد أبلغت في النصيحة.
ثـم ودّعتـه لكنـه اسـتوقفني، وطلـب منـي أن أكتـب لـه رقـم هاتفي وعنواني، وأخبرني أنه يعيش فراغاً نفسياً قائلاً، فكتبتُ له ما أراد.
وبعد أيام جاءني في البيت، لقد تغيـر وجهـه وتبـدلتْ ملامحـه، فقد أطلق لحيته وشعَّ نور الإيمان من وجهه.

---

[27]( ) هذه القصة رواها لي أحد الاخوة فكتبتها ثم عرضتها على صاحبها فأجازها.

جلستُ معه، فجعل يحدثني عن تلـك الأيـام الـتي قضـاها فـي (التســكع) فــي الشــوارع والطرقــات وإيــذاء المســلمين والمسلمات، فأخذت أسليه، وأخبرته بأن اللـه سـبحانه واسـع المغفرة، وتلوت عليه قوله تعالى: (قل يا عباديَ الله أســرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة اللـه إن اللـه يغفـر الـذنوب جميعـاً إنـه هـو الغفـور الرحيـم). سـورة الزمـر، الآيـة 53. فانفرجتْ أسارير وجهه، واستبشـر خيـراً، ثـم ودعنـي وطلـب مني أن أردّ الزيارة، فهو في حاجة إلى من يعينه علـى السـير فـي الطريـق المسـتقيم، فوعـدته بالزيـارة، مضـت الأيـام وشُغلت ببعض مشاغل الحيـاة الكـثيرة، وجعلـت أسـوّف فـي زيارته. وبعد عدة أيام، وجدت فرصة وذهبت إليه.
طرقت الباب، فإذا بشيخ كبير يفتح الباب وقد ظهرت عليا آثار الحزن والأسى، إنه والده.
سألته عن صاحبي، أطرق برأسه إلـى الأرض، وصَـمَتَ برهـةً، ثم قال بصوت خافت: يرحمه الله ويغفر له، ثم استطرد قائلا: حقاً إن الأعمال بالخواتيم.
ثم أخذ يحدثني عن حاله وكيف أنه كان مفرطاً في جنـب اللـه بعيدًا عن طاعة الله، فمنّ الله عليه بالهداية قبل مـوته بأيـام، لقد تداركه الله برحمته قبل فوات الأوان.
فلما فرغ من حديثه عزيته ومضيت، وقد عاهدتُ الله أن أبـذل النصيحة لكل مسلم.

(15) توبة فتاة في العشرين([28])

أ. هـ. فتاة في العشرين من عمرها، أراد الله بها خيراً فوفقها للتوبة والهداية، تروي قصتها فتقول:

كانت حياتي أشبه بحياة الجاهلية، على الرغم من أني ابنة أناس محافظين ومتمسكين بالقيم والمبادئ الإسلامية، كنت لا أحافظ على أوقات الصلاة، حتى أن صلاة الفجر لا أصلّيها إلا بعد الساعة العاشرة.

أرى اخوتي يسهرون في رمضان لقيام الليل وقراءة القرآن، وأنا أحيي الليل بالسهر على أشرطة الفيديو والنظر إلى ما يغضب الله.

وفي ليلة من الليالي وبعد أن آويت إلى فراشي رأيت فيما يرى النائم أني مع مجموعة من الصديقات (قرينات السوء)، وكنا نلعب كعادتنا، فمرتْ من أمامي جنازة فجلست أنظر إليها، وكنَّ يحاولن صدّي عنها، حاولت أن ألحق بها فلم أستطع، فركضت وركضت إلى أن وصلت إليها، وبعد مرورنا بطريق وعر عجزتُ عن مواصلة الطريق، فوجدتُ غرفة صغيرة مظلمة، دخلتها وقلت: ما هذه؟ قالوا لي هذا قبرك، هذا مصيرك، عندها أردتُّ أن أتدارك عمري فصرخت بأعلى صوتي أريد مصحفاً، أريد أن أصلي، أريد أن أخرج دمعة تنجيني من عذاب الله الأليم.

فجاء صوت من خلفي قائلا: هيهات هيهات، انقضى عمرك وأنت منهمكة بالملذات.

وفجأة استيقظت من نومي على صوت الإمام في صلاة الفجر وهو يتلو قوله تعالى: (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله، وما نزل من الحق). **سورة الحديد الآية 16.**

سبحان الله، شريط حياتي أخذ ينطوي أمامي، وقد تداركتني نعمة ربي بأن جعلني أوب إليه قبل الوفاة، فلله الحمد والمنّة.

---

[28] ( ) هذه القصة كتبتها لي هذه التائبة بنفسها.